2 Me Année, No. 28

Lundi-15-1-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الاقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٩٩٢ ٤٠٥٣٠

العدد الثامن والعشرون — القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ رمضان سنة ١٣٥٢ — ١٥ يناير سنة ١٩٣٤ — السنة الثانية

فهرس العدد

صفحة

٣ من جد الشتاء : الدكتور طه حسين
٥ النفس والرقص : بول فاليري ترجمة الدكتور طه حسين
٧ احدث المبادىء الاجتماعية : الاستاذ حسن جلال
٩ الشعر : شوقي ضيف
١١ الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية : الاستاذ محمد عبد الله عنان
١٥ وقفة ثالثة على جسر اسماعيل : جورج وغريس
١٦ كيف اختار المنصور موقع بغداد : سليم محمود الاعظمي
١٧ صديق : البكري القلوصناوي
١٨ الطفلة الراقصة : الانسة سهير القلماوي
١٩ الشافعي واضع علم أصول الفقه : الاستاذ مصطفى عبد الرازق
٢٢ صفي الدين الحلي : ضياء الريس
٢٥ عصفورة الوادي : الفيلسوف جبل صدقي الزهاوي
٢٦ بنى مصر : الاستاذ فخري ابو السعود
٢٦ بائع حصير : احمد الصافي النجفي
٢٧ الشعر والموسيقى : الشاعر بول فاليري ترجمة عبد الرحمن صدقي
٢٩ سمك الكلاه : الدكتور احمد زكي
٣١ الدراما والحياة : ناقد الرسالة الفني
٣٢ الحركة المسرحية والسينمائية في العالم
٣٤ الورود الحمراء : ترجمة فتوح نشاطي
٤١ وجه ... الخ لاسينما : فيكي بوم ترجمة محمود عزمي
٤٢ ابن خلدون ونزعاته الفكرية : محمود ابو ريه

من جد الشتاء

للدكتور طه حسين

من جد الشتاء ان تهنى الزيات بعيدين يطلع بهما عليه فجر يوم واحد ، هو هذا اليوم الذى تظهر فيه الرسالة للناس ، وتشرق بهما عليه شمس واحدة هى شمس يوم الاثنين ، ويستقبل فيهما ابتسامتين ما أعرف ان فى الحياة شيئا احب اليه ولا احسن فى نفسه وقعا ، ولا أجل فى قلبه صورة ، ولا أشد احياء للامل ، واستدعاء للغبطة ، واثارة للابتهاج منهما ، احداهما مقصورة عليه او كالمقصورة عليه . استغفر الله ، بل هى مقسومة بينه وبين شطر نفسه وشريكته فى الحياة ، وهى ابتسامة ابنه (رجاء) ، والاخرى شائعة بينه وبين أصدقائه واحبائه وخصومه واعدائه فى مصر كلها ، وفى الشرق العربى كله ، وفى كل طرف من اطراف الارض تقرأ فيه اللغة العربية ، ويذاق فيها الأدب العربى ، وهى ابتسامة بنته (الرسالة) . فقد رزق الزيات فى مثل هذا اليوم من العام الماضى هذين الوليدين العزيزين ، فسعد بأولهما فى نفسه واسرته ، وسعد بثنيهما فى نفسه وامته ، وانفق عامه كله معنيا بتنشئى رجاء وتنمية الرسالة ، يقصر جهد عقله على هذه ، ويخص بفيض قلبه ذاك . ويجنى من هذه كما يجنى من ذاك هذه الثمرات الحلوة المرة ، اللذيذة المؤلمة ، التى يجنيها الاحياء من حب الاحياء والعناية بهم والانصراف اليهم عن كل شيء .

يبتسم رجاء للحياة فيبتسم قلب الزيات وتنعم نفسه ، وتبتسم الرسالة للحياة فيبتسم عقل الزيات وينعم ضميره ، تعرض آلام الحياة

هذه الحالة بوضع نظام آخر فيه معنى التجديد . وحاولت التخفيف من قيود الزوجية لا بتيسير الطلاق وحده بل باباحة تعدد الزوجات؟ فهم التقيد إطلاقا بنظام الأسرة ؟ إن انهيار نظام الملكية الفردية في روسيا يؤدي حتما إلى زوال السرقة ، وكذلك انهيار الأسرة الحالي يؤدي حتما الى زوال جريمة الزنا ويمهد الطريق لأن تنتشر في الكون حياة فاضلة سعيدة !

***

هذا ما يقوله الأنصار

فاسمع ما يقوله المعارضون :

لا شك أن السرقة جريمة شنيعة تتنافى مع طبيعة الأمن الذي ينشده كل انسان سواء أكان من أنصار هذا المذهب أم ذاك . ولا شك في أن الزنا جريمة مرذولة لأنها أقسى أنواع السرقات . أليس لصها يسرق القلوب؟ وهل المرء إلا قلبه ! ولكن أليس أقرب إلى الهزل منه إلى الجد أن يعالج الانسان داء السرقة في المجتمع بأباحة أموال الناس عامة ؟ وأن يعالج داء الزنا بهدر الأعراض ؟ وهل الشيوعية إلا هذه الاباحة والهدر . فالمال فيها مال الدولة والابناء فيها أبناء الدولة ولا شيء فيها إلا هو للدولة !

الدولة أبوكم !

الدولة أمكم !

الدولة دينكم !

هذه هي صيحات الشيوعية وتعليماتها لأهلها ! وهذا هو المذهب الذي يدعو اليه الخارجون على نظام الاسرة الحالي . فهم في سبيل مكافحة الفقر عند المعسرين يفقرون الأغنياء . وفي سبيل اخفاء معالم جريمة الزنا يريدون أن يجعلوا من العالم كله ماخورة واحدة !

*
* *

وبعد .

فقد شهدت منذ قليل رواية جميلة عنوانها « La Loi Violée » وترجموها بقولهم « مخالفة الشريعة » والرواية تسير حوادثها هكذا :

يقبل من أقصى الأرض فتى وفتاة يريدان الالتحاق باحدى الجامعات (الروسية) الحديثة . والشابان زوجان . ويريد الشاب أن يلتحق بكلية الطب التي ادرس فيها الاستاذ ر — وهو ركن من أركان السوفيتية . فينفث في الطالب من روحه ، ويتأثر الطالب بفتاته ، لأنه معجب بعلمه ومقدرته في فن الجراحة الذي يدرسه عليه ، وتتكون من تعليمات الاستاذ لتلميذه أن الحب حر ، وأن رباط الزوجية معطل للنبوغ مقيد للمواهب . ويضرب له المثل بنفسه فيريه أنه هو غير متزوج ، ولكنه يعاشر فتاة يحبها حبا كثيراً ، وأنه يسعد بهذا الحب اضعاف السعادة التي يمكن ان يشعر بها الازواج . وتنسكب هذه المعاني انسكابا في قلب الفتى الغض : فتفتر همته في حب زوجته الشابة لأنها ظللتها تلك الغشاوة التي نسجها من حولها أستاذه ، وتحس الفتاة بما جد على فتاها من التطور والتحول . وتدرك ان استاذه هو السبب في ذلك . فتتوجه اليه وتستغيث به في أزمتها التي تهدد حياتها ، وتتوسل اليه ان يقوم طباع تلميذه وان يخفف من تلقينه هذه المبادىء التي توشك ان تهدم هناءهما . فيقول لها الأستاذ في جمود:

— وماذا عليك إن تركك فتاك ؟

— أن أحبه !

— سوف تنسين !

— ان الحب لا ينسى !

— انت طفلة ينقصك علم كثير وخبرة كثيرة ، كل شيء يابنيتي يستطيع الزمن ان يجر عليه ذيل النسيان

— ولكني لا أطيق أن اراه يعلق بفتاة غيري .

— هي الغيرة إذن ! لقد أصبحت هذه العاطفة عتيقة عندنا ياصغيرتي ! ونحن نعمل على مطاردتها من صدور الناس لأنها سر شقائهم . ثم ما بالك أنت لا تعلقين بفتى آخر فينسى كل منكما صاحبه في جو حياته الجديدة ؟ إن الحب حر في هذه البلاد !

وتنصرف عنه الفتاة يائسة

وتشاء المصادفة ، أن ترتاح في الوقت نفسه رفيقة الأستاذ الى طلعة الطالب وفتوته فتعمل على اغوائه حتى يتم لها ذلك . وعندئذ توعز إليه ان يطلق زوجته الأولى ليتزوجها ، ويقبل الفتى على ذلك متأثرا بروح أستاذه وتعليماته . وبجمال معشوقته وفتنتها واغوائها ويتم بينهما الزواج

***

ويتلمس الاستاذ فتاته فلا يجدها ، فيظل يبحث عنها في كل مكان حتى يهتدي اليها اخيرا بين ذراعي تلميذه ..

وهنا ذروة القصة ونقطة انقلابها !

ماذا ترى يكون موقف الاستاذ ازاء هذا المشهد البديع ؟ لقد كانت تقضي تعليماته أن يدير ظهره ويذهب من توه يبحث عن فتاة أخرى ينسى عندها حبه الاول

ولكنه بدل ان يفعل ذلك وقف يحدق ثم صر اسنانه

الشـــعر

الشعر أثر كبير فى تاريخ الحياة الانسانية ، ولا يستطيع أحد أن ينكر ما أفادها بنغماته السحرية الجميلة ، وموسيقاه الناطقة المؤثرة ، واذا كان العلم يعطينا مددا نافعا ، وفوائد جليلة ، فان الشعر يمنحنا هبة أعظم شرفا ، وذلك لأنه يفتح على أرواحنا النوافذ المغلقة فيصلها بالحياة التى تجرى امامها ، والنور الذى ينتشر حولها ، ثم هو يعرض أمام أنظارنا الجمال الهاجع فى الكون مجلوا فى أبهى حلله ، ذلك الجمال الذى هو زهرة الحياة الدنيا وفتنتها فما هو هذا الشعر الذى يقدم لنا كل هذه الهبات ؟

أما أساتذة مدارسه التى أخذت تباهه فى الشرق فقد اهتدوا منذ القرون الأولى للهجرة الى تعريفه بأنه « الكلام الموزون المقفى » ولا شك أن هذا تعريف قاصر لأنهم تناولوا به السور الخارجى الذى يحيط بمدينة الشعر فقط ، أما المدينة نفسها وما تضج به من حياة وحركة ، وما تموج به من حسن وجمال ، فلم تسترع أنظارهم ، ولم تجذب انتباههم ، ولعل رواية الشعر الجاهلى هى التى ورطتهم فى هذا التعريف الأبتر ، فقد كان الشعر الجاهلى يروى سواء أكان بسيطا ام لم يكن ، وسواء أكان مؤثرا أم لم يكن ، وسواء أكان مفهوما أم غير مفهوم ، وكان الرواة لا يطلبون فى الشعر الا أن يطن بالوزن والقافية ، وأما المعنى الذى هو روح الشعر فلم يلق منهم عناية ولا دراية الا فى الاقل القليل ، فلما أخذت المدارس تعلم الشعر وتقننه فهمت أن الوزن والقافية هما كل شىء فيه ، واستن لها السنة الخليل بن احمد استاذ المدرسة الأولى فقد قال : والشعر هو ما وافق أوزان العرب ، فما دام الكلام قد ارتدى برداء الوزن فهو شعر ولو لم يكن فيه روح تنبض ، ولا حياة تخفق ، والذى يدعو الى الدهش هو أن هذه الفكرة السقيمة فى الشعر استمرت قائمة فى هذه المدارس طوال العصور المختلفة كأنها قضية منطقية مسلم بها ، ولم يفكر الادباء فى الخروج عليها . نعم أتيح للجاحظ أن يتأثر بالمدرسة اليونانية فيقول : (إنما الشعر صياغة وضرب من التصوير) ولكن للأسف لم يعن هو نفسه بهذا المعنى فيما جمع من الشعر بكتابه البيان والتبيين ، وعلى الرغم من أن ابن خلدون انتقد المدارس السابقة فى تعريفها للشعر ، استمرت عند فكرتها ، ولم تحاول أن تعتق نفسها من رق هذا الخطأ ، ولا أن تطلق عقولها من أغلال هذا التقصير

والأمر فى تعريف الغربيين للشعر على خلاف هذا ، ولنلم بطرف من تعاريفهم ، ولعله يلقى على الموضوع أشعة توضحه ، يقول مستر بلوك : إنه لا يمكن تعريف الشعر بشىء سوى السحر ، وكان أجدر به أن يعدل فى كلامه فيقول إنه لا يمكن تشبيه الشعر بشىء سوى السحر ، ومهما يكن فتعريفه لا يعطينا شيئا أكثر من فكرة أولية لا تقبل التحليل ، وقال مستر تيفر : إن كلمة الشعر ككلمة الجمال من الكلمات المبهمة التى تشمل مجموعة من الاشياء المختلفة تمام الاختلاف بالنسبة لاختلاف المتجين ، وانتهى الى أنه يمكن تعريف الشعر بأكثر من هذا التعريف الردىء لمعاجم اللغة ، واعترف مستر لمبورن بأنه لا يمكن تعريف الشعر الا اذا عرفنا الحياة والحب ، اللذين يترجم عنهما

وهكذا نجد النقاد من الانجليز مضطربين امام تعريف كلمة الشعر ، فبعضهم يعرفها تعريفا ناقصا ، وبعضهم يعرفها تعريفا مبهما ، ويحجم كثير عن تعريفها لأنه لا يمكن تعريفها ، أو لأنها ككلمة الجمال لا يمكن تحديدها ، وبمعنى أوضح لأن الشعر عمل فنى ، وكأنما كتب على كل عمل فنى ألا تحيط به التعاريف إحاطة تامة ، وأيا كان فكلمة الشعر تعنى شيئا موجودا أمامنا ، يشرح خواطرنا ، ويخاطب قلوبنا ، ويؤثر فى نفوسنا تأثيرا جميلا ، وإذا كنا لا نستطيع أن نحدد الشعر تحديدا تاما يبين ماهيته فليس من العسير أن نقف على اساسه ، ولعل أقدم من تكلم فى هذا الموضوع

وهو يوجه القول الى فتاته :

— ماذا تصنعين هنا ؟

— الحب حر ! أليس هذا من مبادئك ؟

ولم يكن من الاستاذ ازاء هذا الجواب المفحم الا ان تسللت يده فى حركة خفية فاخرجت مسدسه من جيبه . وكانت طلقتان أصابت احداهما الطالب المسكين فصرعته ، واصابت الأخرى عروسه فطرحتها الى جانبه !

وكانت هذه الخاتمة المروعة هى التطبيق العملى البديع لنظريات الاستاذ الخلابة فى (حرية الحب) وفى مقدرة (ذيل أرمن) على نشر النسيان بين الناس ، وفى بيان ما أصاب عاطفة الغيرة من الهزائم على يد هذه المذاهب الحديثة !

حسن جلال

كلاما مستفيضا هو أرسطو فقد قال : إن الابتكار أساس الشعر ، فالشعر عنده صورة مخترعة يخلقها الشاعر بقوة خياله ، والوزن عنده شيء إضافي يلحق بالصورة حين يتم خلقها في قلب الشاعر ، وماذا ؟ أيخترع الشعراء الأوزان التي ينظمون عليها كلامهم ؟ ! وهل يخلق الشعراء الالفاظ التي يوقعون عليها نغمات عواطفهم ؟ ! إن الوزن واللفظ ملك للغة ، ليس لأحد أن يدعي شيئا منهما لنفسه وإنما الذي يستطيع الشاعر أن يعزوه إلى نفسه فيصدق هو الصورة الطريفة التي يبتدعها ، وهذه النظرية جميلة في ظاهرها ، ولكنها ليست دقيقة كل الدقة ، وعلى الرغم مما يظهر فيها من المغالاة في تقدير الشعر استمرت محتلة أفكار النقاد مددا طويلة ، حتى جاء المؤرخ اليوناني « ديونيسيوس » صاحب الأبحاث البلاغية الشهيرة ، فعلق على الأوديسا تعليقا انتهى فيه إلى أن أساس الشعر انما هو الأسلوب ، وقد تبعه كثير من النقاد في أوائل العصر الحديث ، كل منهم يخطيء نظرية أرسطو ، ويبرهن على أن الأسلوب والوزن لهما أثر كبير في صناعة الشعر والواقع ان الشعر عمل فني يقوم على أشياء لا على شيء واحد ، فلا بد له من الصورة الفنية ، والموسيقى الجميلة ، والخيال البارع حتى يستطيع أن ينهض من الارض فيحلق فوق رءوسنا في السماء

وقيمة الشعر ترجع إلى أنه يترجم عن إحساسات الانسان محاولا أن يوقظ العواطف المقابلة في قلوب الآخرين ، وما دامت هذه هي قيمته ، فكل منا شاعر إلى حد ما ، لأن كلا منا يملك إحساسا ، وقوة بها يترجم للآخرين عما يجيش بصدره ، ولكن يجب أن نعرف أن هؤلاء الذين نسميهم شعراء هم في الواقع أرق من الشخص العادي شعورا وألطف منه وجدانا ، وهم أقدر على التعبير عما يحسون ويتأثرون ، قد انقادت إليهم أعنة الكلام واستسلمت لهم شوارد الأوزان ، فسهل عليهم تصوير ما في قلوبهم وإخراج ما تطفح به صدورهم ، والذين يعنون بدراسة الشعر ونقده يجدون مواطن كثيرة لا يجذب جمالها قلوبهم ، ولا يسترعي حسنها عقولهم ، يلفتهم الشاعر إليها بصوره الساحرة التي يعرضها وموسيقاه الجميلة التي يغني بها ، ولقد أحسن كيتس حين قال : « ربما جعل الله لك يا بني هذا العالم جميلا في نظرك كما هو جميل في نظري » وحقا أن الشاعر يتراءى له العالم جميلا أو قبيحا أكثر مما يتراءى لنا ، وكثيرا ما يجعل الأشياء التي تبدو لنا قليلة القيمة أنيقة معجبة بما يصور من جلالها وما يظهر من جمالها

وأول محاولة في الشعر هي ترجمة العاطفة الثائرة في قلب الشاعر ، فقياس الشعر ليس هو المنطق ، وانما هو العاطفة ، ونحن لا نسمع لشعر الشاعر ، ولا لغنائه لأنه أكثر عقلا من غيره ، بل لأنه يجعلنا نشعر بحياة قلوبنا وأحاديث وجداننا ، والتعبير العاطفي هو الشعر ولكن إذا حمل لباسا جميلا ، وشكلا أخاذا وموسيقى بارعة ، فأذا لم يحمل ذلك لم يكن شعرا بالمعنى المعروف ، لأن الشعر لا يتطلب حياة عاطفية فقط ، بل هو يتطلب إلى ذلك الأسلوب الجميل والموسيقى المؤثرة ، ويجب أن تكون الموسيقى قوية ، وطيعية ، وحرة ، لتستطيع عواطف الشاعر وأفكاره أن تبقى خالدة على وجه الدهر ، أما أذا كانت الموسيقى ضعيفة واهنة ، أو نافرة جامحة ، أو أسيرة سجينة ، فأنها تفسد على الشاعر شعره ، والموسيقى الشعرية لا تستطيع أن تحيا بدون التعبير العاطفي لحظة من الزمن ، بخلاف التعبير العاطفي فأنه يستطيع أن يحيا ، بدون الموسيقى فيكون نثرا أدبيا ، وبقوة تعبيره وجمال تصويره تكون قيمته في هذه الحياة الفنية التي وقف عندها

ويجب أن تكون لغة الشعر سلسة عذبة ، جميلة في مرأى العين وسمع الأذن ، لا يعوزها الحسن ولا ينقصها الرواء ، كما يجب أن يكون الأسلوب متماسكا مترابطا ليعبر تعبيرا واضحا مسرعا عن غايته ، وحسن البيان ضروري في الشعر حتى لا يقعد به سوء التعبير عما يريد الافصاح عنه ، والواجب أن يهتم الشاعر بهذه الأشياء جميعها لأنها اللباس ، وكثيرا ما يدل اللباس على صفات لابسه .

وكل العواطف صالحة لأن تكون موضوعا للشعر يترجم عن مستورها ويفصح عن خبيئها ، ولكن ليست العواطف كلها في مرتبة واحدة غير متفاوتة ، بل منها القوي ومنها الضعيف ، فاذا أفصح الشاعر عن عاطفة قوية كان شعره ساميا جميلا ، أما اذا ترجم عن عاطفة ضعيفة فأن شعره يتدلى معها الى أسفل فتنقص من حسنه وتغض من روعته ، ويجب أن يكون القلب الذي يعبر عن هذه العواطف سليما غير مريض ، فأن القلب هو الذي يمثل مرض الانسان ، أما القلب المريض فلا يجد من يحمله ، وما أشبه العواطف بجداول مياه تنساب من القلب فيميلها كيف يشاء

وخير العواطف ما كان يبعث على الحياة والقوة كعاطفة الاعجاب التي تملأ قلب الشاعر فتجعله يصف الأسد مثلا ، وسمو هذه العاطفة راجع الى أن القوة مظهر الحياة ، وهي تعجب الانسان أكثر من أي مظهر آخر ، فالانسان دائما يعتز بقوته ويخفي سوأة

الضعف التي قد تتراءى له في زوايا نفسه ، يتجاهلها ، ويتعامى عنها ، ويبعدها عن نفسه كلما ألمت به ، ولهذا كانت العواطف التي تبعث على الحزن ضعيفة ، لأن الألم والبكاء تنفر منهما النفس وتفر بطبيعتها إذ الانسان لا يرضى أن يعترف بضعفه ، واذا اعترف لم يبق على هذا الاعتراف طويلا ، ومن العواطف الضعيفة عاطفة المدح فأنها عاطفة شخصية تتصل بنفس الشاعر وذاته ، ولا تعبر عن شيء عام يشترك فيه الجميع . نعم إن تخلصت من ذاتيتها ، فدحت المروءة أو حضت على خلق كريم تغير حالها ، وعلت مرتبتها ، لأنها حينئذ تفصح عن شيء يشترك فيه الجميع ويقدره

والعاطفة ، ليست وحدها كل شيء في الشعر بل يجب أن تضاف اليها الفكرة التي تنظمها وتهيئها للحياة والظهور ، وكل الفنون ماعدا الموسيقى لابد فيها من الفكرة حتى تتلذذ العاطفة ، وليس من الواجب أن نخترع الفكرة ، وأنما الواجب أن تظهر في معرض جديد يوضح عمل صاحبها وقوة ايمانه بها ، والشعر قد يكون فكرا خالصا فيبحث في أعمق المسائل التي تشغل عقول الفلاسفة من مثل طبيعة الخير والشر ، وحينئذ لا يكون شعرا بالمعنى الصحيح الا اذا امتزج بالقلب فأصبح عاطفة قوية تفيض منه لا من العقل ، تخاطب الشعور والوجدان قبل أن تخاطب الأفكار والأذهان ، ولقد أحسن قدماؤنا حين قالوا (الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان)

والشعر في الواقع رسالة كرسالة الأنبياء ، فهو يقوم على الالهام أكثر من أي شيء آخر ، والايمان بالفكرة ووضوحها هما الملكان اللذان يوحيان إلى الشاعر بالمعاني الجميلة المعجبة ، والصور الفريدة المعجزة ، فيخرج للناس أفكاره نيرة واضحة ، كأنها وهج الحريق في الليل البهيم ، فلا تجد تكلفا ولا تعملا ، وإنما هي زهور جميلة ينثرها الشاعر على رغمه كما ينثر الزيتون زهوره ، وما أشبه الفكرة القلقة يقولها الشاعر بالعصفور المضطرب الحيران التائه من عشه ، ويجب أن تكون الفكرة قوية ، ليكون الشاعر مبدعا ، رائعا ، حتى إذا أراد أن يحلق في السماء انتهى الى أعلاها فكان نجما زاهرا بين نجومها ، وللأسف نجد الشعر العربي تعوزه القوة في كثير من الأحيان ، ولعل هذا هو السر في أن الشاعر العربي إذا أراد أن يحلق فوقنا ارتفع ارتفاع السحاب في السماء الدنيا ولم

الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية

٣ ـ البرنامج الداخلي في طور التنفيذ

للأستاذ محمد عبد الله عنان

رأينا كيف نشأت الوطنية الاشتراكية الالمانية واستمدت قوتها من عوامل اليأس والفوضى التي غمرت الشعب الالماني عقب الحرب ، ومن مختلف المصائب والمتاعب التي توالت عليه من جراء شروط الصلح وأعبائه ، ومن تفاقم الخطر الشيوعي ، وفشل الديموقراطية والنظم البرلمانية في معالجة الحالة وتسيير الشؤون ، من تفاقم العطلة والأزمة الاقتصادية ؛ هذا من الناحية السلبية ، واما من الناحية الايجابية فان وعود الوطنية الاشتراكية في العمل على تحقيق وحدة المانيا وسلامها ورخائها ؛ ومكافحة الخطر الشيوعي وحل مشكلة العطلة ، وانهاض الزراعة والصناعة والتجارة ومعالجة الأزمة الاقتصادية بوجه عام ؛ ثم في تحرير المانيا من عسف الظافر ومن أعباء معاهدة الصلح ؛ كانت كلها تبث الامل والانتعاش في الجموع وفي الشباب بنوع خاص ، وتحشد حول علم الوطنية الاشتراكية ملايين الانصار

والآن لنر كيف عملت الوطنية الاشتراكية لتنفيذ برنامجها

يستطع الارتفاع إلى أعلى أكثر من ذلك ، لأن أجنحته ليست قوية ، على أنه سرعان ما يدنو الينا وينزل من سمائه إلى أرضنا

والعواطف والأفكار لا تكون وحدة الشعر بنفسها ، وإنما الذي يصنع ذلك هو الخيال الشعري ، فهو المنظم للأفكار والعواطف وهو المخرج لها ، هو الذي يجمعها وينفخها بروح من لدنه فتستوي ناطقة معبرة نشخص لها ونعجب بجمالها ، وإذا تجردت قطعة شعرية منه فلا تسمى أدبا ، فاذا شاهد شخص حديقة جميلة في مكان وجاء يقول : لقد رأيت حديقة بها أزهار واشجار وما الى هنالك لم يكن هذا شعرا ، وإنما الشعر حقا هو الذي يحمل للناس أبهة الخيال فيظهر للناس في وحدة جميلة بديعة تسترعي الأنظار ، وتخلب الألباب ، وأي خيال أجمل من قول كيتس « يوجد الغد مبرعما في نصف الليل » ؟

شوقي ضيف
بكلية الآداب

الداخلي منذ قبضت على مقاليد الحكم فى ٣٠ يناير الماضى .

لم تمض أسابيع قلائل حتى استأثر الهر هتلر وحزبه بكل سلطة حقيقية ، وغمر تيار الوطنية الاشتراكية المانيا من أقصاها الى اقصاها ، وبدأت ككل حركة ثورية تنفذ برنامجها بمنتهى العنف والسرعة فوجهت ضرباتها الاولى الى الشيوعية والديموقراطية : سحق الشيوعية أو المركسية من غاياتها الرسمية كما بينا ، ولكنها اتجهت الى سحق كتلة اليسار كلها باعتبارها مسئولة عن كل مصائب المانيا منذ خاتمة الحرب ؛ وجدت فى مطاردة الحزب الشيوعى فرقته ابلغ تمزيق وصادرت مراكزه واموالة وصحفه ونشراته ، واعتقلت كل زعمائه ونوابه وانصاره ، وسحقت دعايته بكل ماوسعت ، ومزقت الحزب الديموقراطى الاشتراكى اعظم الاحزاب البرلمانية منذ نهاية الحرب ، ونكلت بزعمائه ونوابه وانصاره ، واعتقلتهم كالشيوعيين آلافا مؤلفة ، وصادرت كل مراكزه وصحفه ؛ واختفت الشيوعية والديموقراطية من المانيا بسرعة مدهشة ؛ فى الظاهر على الاقل : وحققت الوطنية الاشتراكية الالمانية فى ذلك ماحققته الفاشستية الايطالية يوم قيامها ، بيد انها كانت اشد عنفا وقسوة ؛ وكانت وسائلها أشد إثارة وأغراقا ، ولا ريب ان سحق الوطنية الاشتراكية للشيوعية كان عملا جليلا ، بل لعله أجل خدمة ادتها الى ألمانيا والى الدول الغربية كلها ، ذلك ان البلشفية (الشيوعية) خطر اجتماعى على النظام والمدنية كلها ؛ وكانت قد تقدمت فى المانيا الى حدود مروعة ، وكانت تحمل اكبر تبعة فيما اصاب المانيا من الاضطراب والخراب والفوضى ، وكانت المانيا وما زالت حاجز البلشفية من الشرق ، بيد أن الوطنية الاشتراكية كانت متطرفة مغرقة فى مطاردة الديموقراطية ، وكانت تقصد بسحقها الى غايات حزبية لا الى غايات قومية ، بل لم يقف الحزب الوطنى الاشتراكى عند سحق كتلة اليسار ، ولم يطق أن يرى الى جانبه اى حزب آخر فى المانيا مهما حدت مبادئه ووسائله ، فقال على الحزب الوطنى الالمانى ، وحزب الوسط الكاثوليكى ؛ وهما الحزبان اللذان حالفاه وعاوناه على استخلاص الحكم والسلطة المطلقة : وانتهى بحلهما وإدماج أنقاضهما فيه ، وبذلك اختفت كل الاحزاب البرلمانية السابقة من ميدان السياسة الالمانية ، واستطاع هر هتلر ان يفرض الوطنية الاشتراكية على المانيا كلها

ولما كانت الوطنية الاشتراكية حركة طغيان مطلق ، وقد بدأت بتعطيل الحياة الدستورية ، فقد كان طبيعيا ان تعمل على إخماد جميع الحريات الدستورية حتى لاتقف عثرة فى سبيلها . ولم تكتف فى ذلك بمطاردة خصومها السياسيين القائهم فى تكنات الاعتقال آلافا مؤلفة دون اية تهمة ، وإصدار القوانين الاستثنائية المختلفة بل عمدت الى الصحافة مظهر الرأى الحر فسحقتها وأخضعتها لرأيها ووحيها ، وجعلتها تابعة لوزارة الدعاية التى انشأتها ؛ وعطلت كل صحيفة مخالفة فى الرأى ، وجعلت مهنة الصحافة نوعا من المهن الرسمية . وكما انه لا يستطيع اليوم إنسان فى المانيا ان يرفع صوته بالاعتراض على شىء من أعمال الحكومة ، فكذلك لاتوجد صحيفة المانية واحدة تستطيع ان تقول رأيا غير رأى الحكومة ؛ ووزارة الدعاية (ووزيرها الدكتور جبلز) هى التى ترسم للصحافة كلها خططها وتلقى اليها اوامرها ووحيها . والشعب الالمانى لايعرف من سير الحوادث والشئون فى المانيا الا ما تذيعه صحافته الرسمية . ولم تفعل الوطنية الاشتراكية الالمانية فى ذلك سوى أن حذت حذو البلاشفة فى روسيا والكماليين فى تركيا والفاشست فى ايطاليا . ومن الطبيعى انه حيثما قام الطغيان المطلق تنعدم كل ألوان الحرية الفردية . وهذا ماوقع فى المانيا . ويفسر لنا انصار النظام الهتلرى ذلك بان المانيا قد اصبحت كلها تدين بمبادىء الوطنية الاشتراكية وغاياتها وتؤيد سياستها ووسائلها بكل ماوسعت ؛ ولكن كيف يمكن استجلاء الرأى العام اذا جرد من كل وسائل الاعراب والافصاح ؟

هذا وأما من جهة تركيز السلطة فقد خطت الوطنية الاشتراكية فى ذلك خطوة جريئة ؛ وأصدر المستشار هتلر مرسوما يقضى بالغاء استقلال الحكومات والمجالس الاتحادية وإخضعها بطريقة مباشرة لسلطة الحكومة المركزية وبجردها من كل سلطة معارضة ؛ وتلك بلا ريب خطوة هامة فى سبيل تدعيم الوحدة الالمانية ؛ وتدعيم هذه الوحدة كما رأينا من أخص غايات الوطنية الاشتراكية . ونستطيع ان ندرك أهمية هذا الانقلاب متى ذكرنا كيف كانت الحكومات المحلية فى بعض الولايات القوية (مثل بافاريا) تقاوم فى كثير من الاحيان سياسة الحكومة المركزية واعمالها . وكيف كانت الدسائس الاجنبية تتسرب اليها لتنظم فيها دعوة الانفصال (مثلما حدث فى منطقة الرين ايام احتلال الحلفاء) تمزيقا لوحدة المانيا واضعافا لها . وقد حقق هر هتلر فى ذلك غاية قومية جليلة ، وأتم العمل العظيم

الذى بدأه بسمارك فى سبيل الوحدة الالمانية . وثمة خطوة أخرى اتخذت فى سبيل تركيز السلطة السياسية هى إلغاء نظام النقابات القديم وتنظيمها طبقا لدستور جديد يحرم عليها كل عمل سياسى ويجعلها بما تضم من ملايين عديدة خاضعة للحكومة من حيث توجيهها الاقتصادى والاجتماعى ؛ وهذا ايضا تقليد من جانب الوطنية الاشتراكية للفاشستية الايطالية التى عرفت قوة النقابات فنظمتها واستخدمتها لغاياتها .

وقد بذلت الحكومة الوطنية الاشتراكية جهودا لابأس بها لمكافحة العطلة وإنعاش الزراعة والتجارة ؛ وحذت حذو الفاشستية فى العناية باخلاق النشء ومطاردة الوان الفساد الاجتماعى والجنسى ، وتعزيز الميول الرياضية والاخلاق المحافظة ؛ وفى الحد من حرية المرأة وتدخلها فى الشئون العامة ، وتوجيهها الى المنزل والاسرة - وتلك من عناصر قوتها وتقدمها

***

والآن ننتقل الى مشكلة من أخطر وأدق المشاكل التى أثارتها الوطنية الاشتراكية الالمانية : تلك هى مشكلة الجنس وتطهيره وتفوقه ، أو بعبارة أخرى هى المسألة اليهودية : ونحن نعرف أن سحق اليهودية الالمانية غرض أساسى من أغراض الوطنية الاشتراكية ، وأنه أدرج منذ الساعة الأولى فى برنامج الحزب الوطنى الاشتراكى فى مادة خاصة هذا نصها :

« لا يحق لغير أعضاء الأمة أن يكونوا موظفين فى الدولة ، ولا يحق لغير أولئك الذين ينحدرون من دم المانى مهما كان مذهبهم أن يكونوا أعضاء فى الأمة ؛ واذن فليس ليهودى أن يكون عضوا فى الأمة » (المادة الرابعة) : ويخصص هر هتلر فى كتابه «جهادى» حيزا كبيرا لنظرية الجنس ؛ ويشرح بافاضة خطر الجنس اليهودى وخواصه المنحطة ؛ ويعتبر الجنس الآرى وحده أهلا لانشاء الحضارة ، والجنس اليهودى أشد الاجناس هدما للحضارة ؛ وان الحضارات الانسانية العظيمة لا تفنى إلا لان الجنس المنشىء لها يفنى بامتزاج الدم وتسممه ، وأن تاريخ الأمم الآرية يدل على أنها تنحط وتتدهور كلما انحرفت عن مبدأ فصل الاجناس وامتزجت بالشعوب المغلوبة ؛ ويعدد هتلر مزايا الجنس الآرى ، ثم يتحدث عن خواص الجنس اليهودى ، فيقول إنه جنس يضطرم بالاثرة ، وانه ذكى ولكنه مقلد مجرد من الابتكار والطرافة ، وانه لم يخلق لنفسه أية حضارة خاصة ، ولا يحدوه أى مثل أعلى : ثم يصف الطرق التى يتبعها اليهودى فى دخول المجتمعات الجرمانية ، فيقول إنه يحل فى اثر الجيوش الاجنبية ، ويتقدم كتاجر ويشتغل بالوساطة والربا الخطر ، ويحتكر التجارة ويرهق الفلاحين ؛ ويجتمع اليهود فى احياء أو مجتمعات خاصة ، وينشئون بذلك دولة داخل الدولة ، ثم يملقون رجال السلطة والامراء ويمدونهم بالمال ، ويستظلون بنفوذهم وحمايتهم ، ويسيطرون على البورصة والانتاج ؛ ثم يملقون الشعب ويبدون له فى ثوب محبى الانسانية وأصحاب النظريات الحرة ، ويتكلمون الالمانية ولكنهم يحرصون كل الحرص على نقاء جنسهم ، ويستعملون لتعزيز نفوذهم أداتين قويتين هما الصحافة والبناء الحر (الماسونية) : هذا من الناحية الاجتماعية ، وأما من الناحية السياسية ، فان هتلر يعتبر الشيوعية (الماركسية) يهودية فى أصلها وفى غاياتها (١) ؛ ويقول لنا إن الوطنية الاشتراكية تؤمن بزعامة الجنس وأهمية الفرد وتجل الزعامة والفكرة الارستوقراطية ، ولكن الماركسية ديموقراطية حرة تحل مكان الفرد فكرة الجماعة وتتخذ من ذلك وسيلة لتمكين اليهودية من الاستئثار بالنفوذ العالمى.

وليس فيما يقوله هر هتلر عن اليهودية شىء جديد ، وانما هو ترديد فقط للنظرية الالمانية القديمة التى قامت عليها خصومة السامية الحديثة . وكان الكاتب الالمانى كرستيان لاصن أول من نوه فى منتصف القرن الماضى بأهمية الفوارق الجنسية بين الجنس الآرى والجنس السامى ، وبتفوق الآريين فى الذهنية والخواص الجنسية على الساميين ، وتبعه المؤرخ الفرنسى رينان فى التنويه بانحطاط الاجناس السامية . وقد كانت ألمانيا منذ أواخر القرن الماضى مهدا خصبا لخصومة السامية (أو حركة اضطهاد اليهود) وكان بسمارك قبل قيام الامبراطورية يصادق اليهود ويعتمد عليهم فى تحقيق سياسته لانهم كانوا بين الاحرار قوة بارزة ، وكان الاحرار يؤيدون وحدة ألمانيا ، فلما تحققت الوحدة الالمانية انقلب بسمارك لمحاربة الاحرار واليهودية ووجد فى خصومة السامية سلاحا قويا ، وتفاقمت الحركة غير بعيد ، وأيدها المحافظون ورجال الدين وسرت الصيحة بان اليهود خطر على ألمانيا وألفت صداها فى الراى العام

---

(١) يلاحظ أن كارل ماركس أمام النظرية الشيوعية يهودي الاصل

(٢) راجع كتاب هتلر « جهادي » Mein Kampf — الفصل الحادى عشر من القسم الاول

بقوة . وعرض اليهود الى صنوف الاضطهاد والزراية واقترح بعض النواب إبعاد اليهود عن الوظائف والمدارس ، ونظمت الجهود لمقاطعة التجارة اليهودية ، وكادت الحركة تضرم فى ألمانيا نار الحرب الاهلية لولا أن رأى جماعة من العقلاء والمفكرين وعلى رأسهم ولى العهد (الامبراطور ولهلم الثانى فيما بعد) خطورة الحركة وسوء عواقبها ، فاذاعوا منشوراً وقعه كثير من أعلام العصر شرحوا فيه اخطار هذه الخصومة القومية ، ووصفوها بانها وصمة فى شرف ألمانيا ، وناشدوا الشعب أن يعود الى السكينة والاعتدال فهدأت الحركة واضمحلت بسرعة(١) وانصرف عنها معظم العقلاء والمعتدلين ،

وهذه نفس النظرية ـ نظرية الخصومة السامية ـ التى نقلها هرهتلر وصاغها فى برنامج حزبه كمبدإ أساسى يجب ان تعمل الوطنية الاشتراكية لتحقيقه ، والتاريخ هنا يعيد نفسه ، وقد عملت الوطنية الاشتراكية منذ تولت مقاليد الحكم لحق اليهودية بمنتهى العنف والقسوة والسرعة ، فطاردت اليهود فى كل مناحى الحياة العامة بشدة ، وقضت الحكومة النازية بطرد جميع الموظفين غير الآريين (اليهود) من وظائفهم فى جميع مصالح الحكومة المركزية والمحلية ، وإقصاء جميع المستخدمين والعمال اليهود عن اعمالهم فى جميع الجهات والهيئات والاعمال ، وعزل جميع القضاة وأساتذة الجامعات والمعلمين اليهود ، وقضت بطرد الاطباء اليهود من جميع المستشفيات العامة وشطب اسمائهم من سجل الاطباء والجمعيات الطبية ، وفرضت عليهم فى مزاولة العمل الخاص قيوداً تستحيل معها مزاولة المهنة ، وحرمت على معظم المحامين اليهود مزاولة مهنتهم ، وحرمت على اليهود فى المستقبل مزاولة المهن والاعمال التى تقتضى درجة عالية من التعليم ، وجعلت للطلبة اليهود فى المدارس الثانوية والعالية نسبة ضئيلة ، وحددت نسبتهم فى المستقبل بواحد فى المائة ، ونظم الحزب الوطنى الاشتراكى من جهة أخرى مقاطعة التجارة اليهودية فى سائر المانيا ، ونفذها بطريقة رسمية يوم أول ابريل الماضى رداً على دعوة اليهودية فى الخارج إلى مقاطعة التجارة الالمانية ، وعلى الجملة فان الحكومة الالمانية لم تترك حقا مدنيا او سياسيا لليهود إلا سلبته ولم تترك لهم وسيلة مشروعة للحياة والعيش والعمل الا سحقتها ، وصيغ ذلك كله فى طائفة من القوانين الاستثنائية التى لم يسمع بها ، ونفذ فى غمر من المناظر المروعة ، وارتكبت خلال تنفيذه سلسلة من الاعتداءات والجرائم المثيرة كان لها فى الرأى العالمى أشد وقع ، واتخذت ذريعة لحملات شديدة على الوطنية الاشتراكية الالمانية وعلى مبادئها ووسائلها

ولا نقف طويلا عند هذه الحوادث المعروفة ، ولكن يحسن أن نلخص الأسباب والحجج التى تبرر بها الوطنية الاشتراكية موقفها . فهى تقول ان اليهود يبلغون فى المانيا نحو واحد فى المائة فقط من مجموع الشعب الالمانى (نحو سبعمائة الف من ٦٥ مليونا) ومع ذلك فقد استطاعوا فى ظل الحكومات الديموقراطية ان يحصلوا على اعظم قسط من النفوذ والسلطان فى دوائر الحكم والمالية والثقافة والمهن الحرة والفنون والتجارة والصناعة ، وكل مقومات الحياة العامة ، وانهم بلغوا فى بعض هذه الميادين نسبا لم يسمع بها ، مثال ذلك ان نسبة الاطباء اليهود فى برلين بلغت ٥٢ فى المائة من المجموع وبلغت أكثر من ذلك فى المحاماة ، وبلغت نسبتهم فى دوائر البورصة تسعين فى المائة ، ووصلت أيضا فى دوائر التعليم الى حدود مزعجة ، مثال ذلك انه كان بجامعة برزولا سنة ١٩٣١ من الاساتذة اليهود ٢٥ فى المائة فى كلية الفلسفة و٤٧ فى المائة فى كلية الحقوق و٤٥ فى المائة فى كلية الطب . واما فى الدوائر المالية فقد كان نفوذهم فوق كل نفوذ ، مثال ذلك انه فى سنة ١٩٢٨ كان خمسة عشر يهوديا يسيطرون على إدارة ٧١٨ شركة المانية وهكذا . وتزيد الوطنية اشتراكية ان كثيرا من اليهود الذين تقصدهم بالمطاردة ليسوا من اليهود الالمان ، ولكنهم وفدوا على المانيا عقب الحرب من اوكرانيا وغاليسيا وبولونيا وانهم من العناصر المنحطة التى يخشى منها على سلامة الجنس الجرمانى . بيد ان مطاردة اليهودية فى المانيا كانت عامة شاملة كما تقدم

والواقع ان الوطنية الاشتراكية الالمانية لا تقف فى صوغ نظرية تفوق الجنس وفهمها عند هذا الحد ، بل تذهب فى ذلك الى أبعد مدى . فهى تنادى بتفوق الجنس الآرى على جميع الاجناس الاخرى لا على الجنس اليهودى وحده ، وترى ان الاجناس غير الآرية كلها اجناس منحطة ، وتعتبر شعوب البحر الابيض الحنوية والشعوب السامية والشرقية بوجه عام كلها من الشعوب المنحطة التى يجب ان يستعبدها الجنس الآرى ، ويجب ان يحرص على نقائه من الامتزاج بها . وهذه نظرية تستحق منا نحن المصريين والشرقيين عامة تأملا خاصا ، ولسنا فى حاجة لأن نقول انها

(١) راجع شرحا وافيا لنظرية الخصومة السامية وتطوراتها فى المانيا وغيرها فى كتابنا « ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى » ص ٥٠٤ وما بعدها

لاتقوم على سند من العلم أو البحث أو التفكير السليم ، لانها ليست الامظهرا جديدا لما تجيش به الشعوب الغربية نحو الشرق من أثرة وتحامل وليست الا عنوانا جديدا لتلك النزعة الاستعمارية الغربية التى ترى فى الشرق ابدا فريسة يجب التسابق لاقتسام اشلائها . على أن اغراق الوطنية الاشتراكية فى نزعتها الجنسية وما أثارته باسمها من ضرام الخصومة السامية ، وما لجأت اليه فى تنفيذ سياستها من العنف والبطش . انتهت الى نتائج لم تكن تتوقعها ، فقد اتخذت كما قدمنا مادة لحملات شديدة على ألمانيا فى معظم دول العالم ، وكان لذلك أثره فى هيبة ألمانيا وسمعتها ومصالحها الخارجية ، وكان اكبر عامل فى تحول الرأى العام فى انكلترا وأمريكا عن مناصرة ألمانيا فى ميدان السياسة الدولية

هذا ما فعلته الوطنية الاشتراكية الألمانية لتنفيذ برنامجها الداخلى وسنرى فى الفصل القادم كيف سارت فى تنفيذ برنامجها الخارجى

محمد عبد الله عنان

وقفه ثالثة على جسر أسماعيل

.... أما أنا فلم أقف على هذا الجسر .. لأن مشيتى عليه كانت أقرب إلى العدو منها الى الوقوف .... إن شيئا فقد منى فكيف تطلب منى ان أقف ... ؟ دعنى أسير لابحث عنه .. ودع قلبى يسبق بصرى إلى ماوراء الجسر ... والجسر ... ماوراؤه ...؟ إننى لم أجد شيئا ... إن نفسى كانت حائرة ... ولكن الحيرة لم تطرق الى بصرى ... فقد كان ساهما جامدا مصوبا الى ماوراء الجزيرة ، الى ماوراء الأفق ... الى الشفق البعيد ، ففيه قتمة من قتمة الليل .. وفيه ظلام من ظلم البشر ...

فكيف كنت تطلب منى ياسيدى ان أقف ... ؟ لقد كان « بانفوس » آثما فى بحثه عن « تايس » .. لذلك كانت وقفاته كثيرة .. أما أنا فلماذا أقف ... ؟ إن هرم « خوفو » بعيد عن الجسر .. فاذا وصلته قمته بعيدة عن القاعدة ... فاذا أدركتها فالفضاء وسيع فسيح ...

* * *

وقف استاذى على جسر اسماعيل فتمهل وتريث ... للجسر جمال ... للطير تغريد ... للماء بريق ...

أما أنا فلم أقف ، لأن الاعمى لايسر ناظريه ماقد يكون حوله من جمال أو بهاء أو رواء ..

أما أنا فلم أقف لأن الاسم لايطربه تغريد البلبل ... والاذن المصلوم لايزينه قرط ..

أما أنا فلم أقف لأن المشرف على الغرق لايتغزل فى جمال الطبيعة ولا يستهويه خرير الماء أو تلاطم الامواج ..

إن النيل الذى يجرى تحت الجسر لو خلبه سحر المنظر لوقف فى مكانه يا سيدى كما وقفت ... ولكنه مثلى مثقل بالهموم ، مقيد بالأوهام ، محمل بالارزاء ، لذلك يهرول باحثا عن البحر ... ليلقى فيه الغرين الذى يثقله ... وليدفع عنه الشاطىء الذى يقيده .. وليذيب أوزاءه فى صفائه ، ويمزج سكونه فى اضطرابه ..... والفرق بينى وبين النيل ... أن النيل يجد بغيته ، أما أنا فلا أجد ..

* * *

ثم وقف صديقى على جسر اسماعيل فتأوه وتأسى ... فالأسد نائم ... والسكنات متيقظة ...

حقا يا صديقى إن من يرى دمعك ينهمل ... لا تمهله دموعه ... ولكن ... ... اعذرنى يا صديقى لأننى لم ألق لك بالا ... ولم أسمع أنين قلبك وأنت واقف على جسر اسماعيل ... لأن أنين قلبى قد طغى على نفسى فلم أر ولم أسمع ...

يا أستاذى ...

فى نفسى من نفسك قبس . ولكن بصرى عليه غشاء ...

يا صديقى ...

فى قلبى ... من قلبك شعلة . ولكن خافقى مريض .....

لقد بحثت عن حبيبتى فى كل بقع الأرض فلم أجدها ..... من أجل ذلك رأيتنى أسير مهرولا على جسر اسماعيل محدقا ببصرى إلى ما وراء الجسر .. إلى ماوراء الجزيرة ... إلى ماوراء الأفق ... إلى الشفق البعيد .. ففيه قتمة من قتمة الليل ، وفيه ظلام من ظلم البشر .....

جورج وغريس

كيف اختار المنصور موقع بغداد

دالت دولة الامويين وقامت على أثرها دولة بنى العباس تسندها كواهل الفرس وتؤيدها سيوفهم ، وكان لابد للدولة الجديدة من عاصمة جديدة ، اذ يرى المتتبع لتاريخ العرب ان تغيير العاصمة لابد منه عندما تتولى الحكم اسرة جديدة ، ففى بدء الاسلام هاجر النبى (ص) من مكة واتخذ يثرب مقراً له فانتقل بذلك المركز السياسى لجزيرة العرب من مكة المدينة التجارية القديمة الى يثرب التى سميت بعد مدينة الرسول ، والتى أصبحت عاصمة الاسلام ومركز الحكومة ؛ وبقيت كذلك فى حياة النبى (ص) والخلفاء الراشدين الثلاثة من بعده ابى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ؛ فلما آلت الخلافة الى على عليه السلام اتخذ الكوفة مقراً ، وحدث النزاع بينه وبين معاوية منافسه الذى مرت عليه عشرون سنة وهو أمير الشام . قد وطد فيها امره واسكن اقرباءه واتباعهم ، حتى اذا ما انتهى هذا النزاع بشهادة الامام وتنازل الحسن اصبحت دمشق حاضرة الاسلام ، وكان موقعها مناسبا لان تكون عاصمة حكومة الامويين العربية ، فهى واقعة وسط إقليم خصب ، وهى قريبة من مكة والمدينة مركزى القوة الدينية كما أنها تقع على تخوم الصحراء العربية التى يتخذ الخلفاء من سكانها جنوداً يها جمون بلاد الروم القريبة من دمشق ايضا ، ولم يكن يقلل من أهمية موقع دمشق انها لم تكن واقعة على نهر صالح للملاحة ، لأن تجارة المسلمين كانت حينذاك بسيطة تتبع طرق القوافل وتحمل على الابل

واذا ما صلحت دمشق لان تكون حاضرة الامويين ، فانها لا تصلح أن تكون حاضرة بنى العباس ، فهى مأهولة بأتباع الأمويين ومناصريهم وهى بعيدة عن بلاد فارس ، مصدر قوة العباسيين ودعامة ملكهم ، وفضلا عن ذلك فقد أصبحت مهددة بالروم الذين اغتنموا فرصة ضعف الأمويين ، فأخذوا يشنون الغارة تلو الغارة ، كى يثاروا لاندحارهم القديم ، فالعاصمة الجديدة إذن يجب ان تتجه نحو الشرق قريبة من بلاد فارس ، ثم إن التبسط التجارى يقضى ان تكون على ماء يصلها بالبحر ومن هذا تعين أن يكون موقعها إما على الفرات وإما على دجلة ، حيث لم يتردد العباسيون ان يجعلوها هناك .

لما انتهى السفاح من حروبه ومذابحه أتى الهاشمية بجوار الانبار المدينة الفارسية القديمة ، واتخذها مقراً له وتقع هذه الهاشمية على ضفة الفرات الشرقية ، حيث يتفرع منه النهر الكبير الذى عرف فيما بعد باسم نهر عيسى ؛ وفيها توفى السفاح سنة ١٣٦ هجرية . وبعد قليل من تبوء المنصور كرسى الخلافة شرع فى بناء مقر له سمى بنفس الاسم ، وتقع هذه الهاشمية الثانية بين الكوفة والحيرة على الجانب الغربى من الفرات ، فى محل لا يبعد كثيراً عن البطائح ، مصب الفرات فى القرن العاشر الميلادى وتقول رواية أخرى انها كانت قرب مدينة ابن هبيرة القريبة من الكوفة . ومدينة ابن هبيرة هذه هى غير قصر ابن هبيرة . لم يكن موقع الهاشمية الثانيه مناسباً ليكون عاصمة بنى العباس لقربها من الكوفة مركز شيعة العلويين ولأن القبائل التى تقطنها كانت لا تفتأ تثور وتشاغب ، وقد تركها المنصور بعد ثورة الراوندية الذين تظاهروا بتقديسه وكادوا يفتكون به .

وإذا ما انتقلت العاصمة الى العراق فمن الواضح ان فائدة بقعة على دجلة خير منها على الفرات لانها تكون وسط إقليم خصب فقد كانت مياه الفرات تسقى الارض التى بينه وبين دجلة كما كانت مياه هذا الاخير تروى الارض الواقعة شرقيه ، وفضلا عن ذلك فان القسم الأسفل من دجلة كان أصلح للملاحة من الفرات .

وقد قام المنصور برحلات عدة للتفتيش على موقع لائق بالعاصمة فسافر من حرجايا الى الموصل ، متبعاً شاطىء دجلة ووقع اختياره أولا على موقع قرب باريما جنوب الموصل عند الموقع الذى يعرف اليوم باسم الفتحة ، حيث يقطع نهر دجلة جبال حمرين ولكنه تركه حين علم بغلاء الميرة وقلتها فيه وأخيرا اختار قرية بغداد الفارسية الواقعة ، على ضفة دجلة الغربية ، شمال مصب نهر الصراة تماما وأسس فيها عاصمته الجديدة سنة ١٤٥ للهجرة (٧٦٢ للميلاد) .

ويظهر من الاستكشافات التى قام بها السير هنرى رولنصن سنة ١٨٤٨ للميلاد انه قد كان فى هذا المحل مدينة من المدن القديمة جداً فقد وجد آجراً مكتوبا عليه سم بختنصر ولقبه ، كما وجد فى خرائط الأشوريين الجغرافية اسما لمدينة يقرب من اسم بغداد .

وقد كانت تقام فى قرية بغداد الفارسية أثناء حكم الساسانيين سوق شهرية اشتهرت كثيراً فى صدر الاسلام ، إذ هاجمها المسلمون سنة ١٣ للهجرة وغنموا كثيراً من الذهب والفضة ثم لم يعد يظهر اسم بغداد فى التاريخ حتى سنة ١٤٥ للهجرة حين أخذ المنصور يفتش عن موقع لعاصمته الجديدة ، وقد كان فى هذا الموقع لذلك الحين عدد من الأديرة وخاصة أديرة الرهبان النسطوريين ، ومنهم عرف المنصور خلو هذا المحل من البعوض الذى يكثر فى المحلات الأخرى من دجلة ، وأن لياليه بهجة بلردة حتى فى الصيف وكانت هذه المميزات بلا

شك مما أغرى المنصور على اختيار هذا المكان موقعا لعاصمته .

وقد أطنب مؤرخو العرب وجغرافيوهم في الكلام عن فوائد موقع بغداد المتعددة ، فيذكر لنا المقدسي مثلا أن الخليفة اتصح بقول ساكني هذا المحل ، ولخص في الأسطر التالية الكلام الذي خوطب به المنصور ، الذي أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل أربعة طساسيج (مقاطعات) في الجانب الغربي طسوجان ، وهما قطربل وبادرايا ، وفي الجانب الشرقي طسوجان ، وهما نهر بوق وكلواذى فأنت تكون بين نخيل وقرب الماء . فان أجدب طسوج وتأخرت عمارته ، كان في الطسوج الآخر العمارات ، وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من المغرب في الفرات ، وتجيئك طرائف مصر والشام ، وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة ، وتجيئك الميرة من أرمنية وما اتصل بها في تامرا حتى تصل الى الزاب ، وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة ، وأنت بين أنهار لا يصل اليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة ، فاذا قطعت الجسر وخربت القناطر لم يصل إليك عدوك ، وأنت بين دجلة والفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب الا احتاج الى العبور ، وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله ، وأنت قريب من البر والبحر والجبل ، إن التبصر الذي أظهره الخليفة المنصور في اختيار موقع بغداد يظهر جليا في تاريخ بغداد الأخير ، فقد توسعت هذه المدينة توسعا كبيراً حتى كانت المدينة الثانية بعد القسطنطينية في العصور الوسطى ولم يكن لها نظير في جلالها وعمرانها بين مدن آسيا الغربية ، ولم تستطع الحروب والحصارات وانتقال الخلافة منها الى سامراء ، وحتى تخريب المغول لها ، كل هذه لم تستطع أن تحط من مركز بغداد وكونها عاصمة ما بين النهرين ، فاتخذها الاتراك مقراً لهم ، والآن بعد أن مر عليها أحد عشر قرنا ، أصبحت عاصمة الحكومة العراقية .

سليم محمود الاعظمي

من صور الحياة

صديق . . .

الى تلك النفس الظلوم

قلبي الساعة مجال لصراع عنيف بين عاطفة من الحب والوفاء ، وعاصفة من شيء يشبه المقت وأنا بينهما حائر مضطرب :

لي صديق لا يزال حيا ، ومع ذلك فانا أميل الى الاعتقاد بانه مات ، لأني كفنته في أثواب الاهمال ، ودفنته في زوايا النسيان . ولأن إباءه قضى ، ووفاءه مضى ، وليس بعد فقد الاباء والوفاء معنى للحياة

إذن مات صديقي بالنسبة لي على الأقل . ولكنه أورثني فيما خلف لي من تركته المثقلة بالهم ، جروحا لا يزال الدم يقطر منها . ولكم وددت لو أن الايام عقدت حول اسمه ورسمه ، سجا من النسيان لا ينفذ اليها شعاع من الذكرى ، وطالما جاهدت نفسي في أن أجعل بيني وبينه من التناسي أستارا صفيقة ، وأسوارا منيعة ، فلا يسعى إلي ولا أصل اليه ، فلم أوفق ، ولا تزال ذكراه تلم بي وتحوم حولي ، ولا أزال أتردد على رسائله وصوره كما يتردد العابد إلى محرابه ولقد يتفق لي أحيانا ان أصادف هذا الصديق الميت الحي ، فأقف أمامه ، مضطرب العاطفة إنه يشبه صديقي في جماع شكله ، إلا ان صديقي كان صفي النفس وفي القلب نقي الضمير ، وليس هذا الانسان من تلك الصفات في قليل ولا كثير ! لقد اتممت اليوم قراءة الصفحة الثانية بعد العشرين من كتاب حياتي ، وعاشرت الناس بقدر ما اتفق لي أخيارا واشرارا فلم أر شيئا أوقع في النفس من خيانة الصديق ، وكنت ولا أزال أحتقر نوعا من الصحاب يصادقون شهرا ويناقضون دهرا ، ثم يتقلصون أخيرا عن الصاحب فاذا هو عندهم منكر الطلعة كان لم يكن بينهما من أسباب الود القديم ما يربط أحدهما بالآخر . . . وصديقي من صميم هذا النوع . قطعت معه في طريق الحياة أشواطا لم يقف الأمر خلالها بيننا على ما يكون بين الصديق وصاحبه من المجاملة ، بل نشأ بيننا لون من الحب العميق الوثيق لم تعبث به الاغراض ، ولم تفسده الأعراض فأخلصت له كما يجب ان يخلص الصاحب ، لا أبتغي على ذلك جزاء ولا شكورا إلا أن يأخذ نفسه بشيء من الاخلاص ، فأعطاني على ذلك الموثق وأقسم جهد أيمانه ومضى يزعم أن شيئا في الوجود لا يستطيع العبث

الطفلة الراقصة

للانسة سهير القلماوى

لبنانيه فى الآداب

كان اليوم يوم عيد للأطفال فأخذ أهل المصيف يتوافدون على فندق كبير وكل معه طفل أو طفلان . وقد ارتدت الأطفال أزياء مختلفة جميلة . فهذا الطفل من سكان الجبال ، وذاك من راجات الهند ، وهذه شريفة روسية ، وتلك راقصة اسبانية . وهكذا اجتمعت للمتفرجين مجموعة طريفة جميلة من أزياء مختلفة يزيد جمالها أن ممثليها كلهم أطفال تقل أعمارهم عن العشر سنوات .

وصدحت الموسيقى الراقصة وحملت نسمات البحر أنغامها الى الآذان فهزت القلوب هزا لذيذا مطربا . واندفع الأطفال فى حماس يرقصون ويضحكون ويهللون . وكانت هى بينهم طفلة فى السابعة أو الثامنة من عمرها . مرتدية لباس راقصة حديثة لونه اخضر جميل . وقد بدت منه تقاطيع جسمها جميلة منسجمة بديعة التكوين . وما كاد نصف الأطفال ينأى عن مكان الرقص ليستريح حتى اندفعت هى اليه ترقص رقصا فيارشيقا مدهشا . واتجهت اليها الأنظار كلها . وخجل الأطفال من رقصهم البسيط الفطرى فانتحوا ناحية يفسحون المجال لتلك الطفلة الراقصة .

ما دهشت لرقص قدر ما دهشت لرقصها ، وما هز الطرب لمنظر أعجبنى قدر ما اهتززت لمنظرها ، أى جمال ! أى فن ! أى طفولة مرحة بريئة ساذجة ! هذه هى الحياة عندها : رقص وموسيقى ، فرح ومرح ، حب واعجاب ، لقد دوى التصفيق فى أذنها مرارا فاتسعت له حدقتا عينيها اتساع النشوة والرضى ، وأغراها التصفيق بالمزيد ، بل بالتفنن فى المزيد ، فما زال عندها حركات جديدة رشيقة فنية بديعة وما زال بها ظمأ الى الاعجاب والاستحسان . ترى أتظل الحياة لها هكذا ؟ أتظل هى هى مرحة ، طروبا لاهية ، راقصة ؟ أم ستضطرها الحياة الى تذوق ألوان أخرى منها ؟ أستعرف الالم ، أستعرف العذاب ؟ استنسى المرح ؟ استظل راقصة أم سيبدل الدهر رقصها نحيبا مشجيا ؟

لهفى عليك ، طفلتى يوم تودين الرقص فلا تستطيعين !

لهفى عليك يوم تذكرين أيام طفولتك بالحسرة اللاذعة والالم الاليم ! ترى أستظل نظرتك كما هى الى تصفيق الناس واعجابهم بك ؟ أستظلين ظامئة اليهما تسعين الى المزيد ولا ترضين الا به ، أم ستستنفهين هذا الاعجاب وتزدرين هذا التهليل والتصفيق ؟ ترى أتظلين حريصة على رضى الناس عنك أم ستعلمك الايام ان رضاءهم أرخص من أن تسعى اليه ؟ كم أخاف طفلتى هذا الاعجاب ، كم أخافه على أخلاقك وعلى حياتك المستقبلة . ستعودينه ، وستفقدينه وتتألمين أمض الألم لفقده ، ثم سترينه يكال لغيرك كيلا ، ولكن الحياة ستسلمك الى نوع من الرضى اليائس ، ستعرفين بعد أن تصهرك الآلام ان الأيام دول وأن الدوام نقيض الحياة ، ستؤمنين بكل هذا ولكن بعد دروس ودروس . دروس لا كدروس الرقص التى تعلمتها فرحة لذيذة منعشة ، ولكنها دروس قاسية مؤلمة موئسة .

ثم إذا هو أخيرا يتكفل بنقض دعوى نفسه وترجيح الشك فيها على اليقين

على أنى مع ذلك لست أكرهه ، ولست أطمع كذلك فى رجعته ، فان النفس الجاحدة أثبت على الباطل ولكن ما أخوفنى أن يفيق ضميره فى الغيبة بعد الغيبة كما يفيق المجنون ! فربما حاسب نفسه فأحس أنه أساء الى ، وربما يحس فى أغوار نفسه مرارة الحسرة وحرارة الندم ، ولست أحب أن يمسه شىء من ذلك :

فبعض الظالمين وإن تناهى شهى الظلم مغفور الذنوب

أى صديقى المي- الحى !

عزيز على أن تكون هذه صورتك ! ولكن الله يشهد أنى لم أزد على الأمانة فى رسمها للناس ، ومهما أكن حريصا على رضاك فانى على رضا الحق أحرص ؟

البكرى القلوصناوى

ودوى التصفيق فانحنت الطفلة الراقصة وكم كانت رشيقة فى حركاتها الشاكرة الراضية ، كم كانت الغبطة تشع من عينيها بريقا لامعا . وانتحت الطفلة ناحية ثم عزفت الموسيقى دور رقص روسى ، فقامت طفلة أخرى فى لباس رقص روسى واخذت ترقص رقصة صعبة بديعة . وكال لها المتفرجون التصفيق كيلا ، فادرت رأسى ابحث عن الطفلة الاولى . كانت فى ركن بعيد تنظر الى الراقصة الجديدة نظرة المتعجب المعجب الفرح ، وتتبع حركاتها حركة حركة فتصفق لها كلما قامت بحركة صعبة فاتقنتها ، كانت أشد المعجبين بالراقصة الجديدة حماسا واكثر المتفرجين تصفيقا لها . يالله الطفولة البريئة الطاهرة لم تخط الغيرة بعد سطرا من سطورها ولم يخط الحسد كلمة من كلماته . يالله الطفولة المرحة الطروب ما اجملك وما أطهرك !

وصدحت الموسيقى ثالثة فقامت الطفلة راقصة لاهية طروبا ، ودوى لها التصفيق وانتشت بنشوة الاعجاب بها من جديد ، تفننت فى رقصها وابدعت . فلمت نفسى على اوهامى وخيالى . حصن الطفولة مازال حصينا لم ينفذ فيه سهم من سهام الدهر بعد . ليتك تظلين طفلتى هكذا . ليت الحياة تدعك كما انت عصفورة من عصافير جنتها تغنين وترقصين وتلهين . ليتك لاتعرفين للحياة معنى غير ماتعرفين الآن . ابقى طفلتى كما انت راقصة . فرحة مرحة الى ماشاء الله . الحياة الحياة ماهى ؟؟ : رقصة . فارقصيها لاهية .

(سمير القلماوى)

قراءة الأفكار وعلوم نفسية

تحقيق الرغبات ، السحر ، العلاج النفسى ، المنزل الأثري بالقاهرة ، الاولياء الائمة الخ والبريد

ملكات العقل الباطن

الخوف ، التنويم المغناطيسى ، الايحاء ، التحليل ، التركيز الابتكار ، الهلوسة ، اليقظة السريعة الخ والبريد

يطلب الكتابان من مؤلفهما الأستاذ وليم سركيس المحامى بشارع المرحة البولاقية رقم ١٥٦ بالسيدة بمصر

الشافعى واضع علم أصول الفقه

للأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

— ٦ —

١ — الدراسات الفقهية الى عهد الشافعى . ب — أهل الرأى وأهل الحديث
ج — الشافعى بين أهل الرأى وأهل الحديث وآثاره وكتبه
د — وضع الشافعى علم أصول الفقه

وكان أهل الحديث يعيبون أهل الرأى بأنهم يأخذون فى دينهم بالظن ، وأنهم ليسوا للسنة أنصارا ولا لهم فيها متبعين ، فان أصحاب أبى حنيفة يقدمون القياس الجلى على خبر الواحد وهم يقبلون المراسيل ، والمجاهيل — أى الحديث المرسل الذى أسنده التابعى أو تابع التابعى الى النبى صلى الله عليه وسلم من غير أن يذكر الصحابى الذى روى الحديث . أما المجاهيل فهم مجهولو الحال من الرواة —

ثم لا يقبلون الحديث الصحيح اذا كان مخالفا للقياس ، ولا يقبلونه فى الواقعة التى تعم فيها البلوى . الرازى ص ٢٥٠ ، ٢٥١

كانت الحال على ما ذكرنا حين جاء الشافعى ، وقد تفقه الشافعى أول ما تفقه على أهل الحديث من علماء مكة ، كمسلم بن خالد الزنجى ، وسفيان بن عيينه ، ثم ذهب الى امام أهل الحديث ، مالك ، ابن أنس فى المدينة فلزمه ، ولقى من عطفه ومن فضله ما جعله يحبه ويجله « عن يونس بن عبد الاعلى أنه سمع الشافعى يقول : « اذا ذكر العلماء فمالك النجم ، وما أحد أمن على من مالك بن أنس » الانتقاء ص ٢٣

على أن نشأة الشافعى لم تكن من كل وجه نشأة أهل الحديث ، ولا استعداده استعدادهم

لقد توجه فى أول أمره الى درس اللغة والشعر والأدب واخبار الناس ، ولم يقطع صلته بهذه العلوم حين مال بأهل الحديث الذين كانوا لا يرونها من العلم النافع ، حكى عن مصعب الزبيرى قال : كان أبى والشافعى يتناشدان ، فأتى الشافعى على شعر هذيل حسنا وقال : لا تعلم بهذا أحدا من أهل الحديث فانهم لا يحتملون هذا ، معجم الأدباء ص ٣٨٠ ،

وكان الشافعي بطبعه نهما في العلم ، يلتمس كل ما يجده من فنونه ، وقد ذكر من ترجموا له : أنه اشتغل بالفراسة حين ذهب الى اليمن ، وعالج التنجيم والطب ، وربما كان درسهما في إحدى رحلاته الى العراق ، حيث كان التنجيم يعتبر فرعا من فروع العلوم الرياضية ، وكان الطب فرعا من العلم الطبيعي ، والعلم الرياضي ، والعلم الطبيعي قسمان من أقسام الفلسفة التي كان مسلمو العراق أخذوا يتنسمون ريحها ، وكان الشافعي مغرى بالرمي في شبابه ولم يكن في كهولته يأنف من الوقوف عند مهرة الرماة يدعو لهم ويمدهم بالمال ، ويظهر : أنه لم يكن شديدا في جرح الرجال كعادة أهل الحديث ، وقد نقل صاحب كتاب « طبقات الشافعية الكبرى » حكاية تدل على براءة الشافعي من تزمت المزكين .

« قال الشافعي — رضي الله عنه — حضرت بمصر رجلا مزكيا يجرح رجلا فسئل عن سببه وألح عليه فقال : رأيته يبول قائما ، قيل وماذا ذلك ؟ قال :

يرد الريح من رشاشه على بدنه وثيابه فيصلي فيه ، قيل هل رأيته أصابه الرشاش وصلى قبل أن يغسل ما أصابه ؟ قال : لا ولكن أراه سيفعل » ج — ١ — ص ١٩٤ ، ١٩٥

وكان في العلماء المعاصرين للشافعي : بل أهل الرأي منهم بله أهل الحديث من لا يراه ممتازا في الحديث « عن أبي عبد الله الصاغاني يحدث عن يحيى بن أكثم قال : كنا عند محمد بن الحسن في المناظرة : وكان الشافعي رجلا قرشي العقل والفهم ، صافي الذهن ، سريع الاصابة ، ولو كان أكثر سماع الحديث لاستغنت أمة محمد به عن غيره من العلماء » ابن حجر ص ٥٩ »

ولما ذهب الشافعي الى العراق استرعى نظره تحامل أهل الرأي على أستاذه مالك وعلى مذهبه ، وكان أهل الرأي أقوى سندا وأعظم جاها بما لهم من المكانة عند الخلفاء ، وبتوليهم شؤون القضاء ، ذلك إلى أنهم أوسع حيلة في الجدل من أهل الحديث وأنفذ بيانا ، ويمثل حال الفريقين من هذه الناحية ، ماروى عن أمامي أهل الرأي وأهل الحديث : أبي حنيفة ومالك .

روى ابن عبد البر المالكي عن الطبري قال : وكان مالك قد ضرب بالسياط ، واختلف فيمن ضربه وفي السبب الذي ضرب فيه قال : حدثني العباس بن الوليد قال : أخبرنا ذكوان عن مروان الطاطري أن أبا جعفر نهى مالكا عن الحديث : « ليس على مستكره طلاق » ثم دس اليه من يسأله عنه فحدث به على رؤوس الناس » الانتقاء ص ٤٣ ، ٤٤ »

أما أبو حنيفة فينقل في شأنه الموفق المكي في كتاب « المناقب » عن معمر بن الحسن الهروي يقول : اجتمع أبو حنيفة ومحمد ابن اسحاق عند أبي جعفر المنصور ، وكان جمع العلماء والفقهاء ، من أهل الكوفة والمدينة وسائر الأمصار لأمر حزبه ويبعث الى أبي حنيفة فنقله على البريد الى بغداد ، فلم يخرجه من ذلك الأمر الذي وقع له الا ابو حنيفة ، فلما قضيت الحاجة على يديه حبسه عند نفسه ليرفع القضاة والحكام الأمور اليه ، فيكون هو الذي ينفذ الامور ويفصل الاحكام ، وحبس محمد بن اسحاق ليجمع لابنه المهدي حروب النبي — ص — وغزواته قال فاجتمعا يوما عنده وكان محمد بن اسحاق يحسده لما كان يرى من المنصور من تفضيله وتقديمه واستشارته فيما ينوبه وينوب رعيته وقضاته وحكامه ، وسأل ابا حنيفة عن مسألة اراد بها ان يغير المنصور عليه ، فقال له ما تقول يا أبا حنيفة في رجل حلف ألا يفعل كذا وكذا أو أن يفعل كذا وكذا ولم يقل ان شاء الله موصولا باليمين ، وقال ذلك بعد ما فرغ من يمينه وسكت ، فقال أبو حنيفة لا ينفعه الاستثناء اذا كان مقطوعا من اليمين ، وانما كان ينفعه اذا كان موصولا به ، فقال له كيف لا ينفعه وقد قال جد أمير المؤمنين الاكبر أبو العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن استثناءه جائز ولو كان بعد سنة ، واحتج بقوله عز وجل « واذكر ربك إذا نسيت » ؟ — فقال المنصور لمحمد بن اسحاق : أهكذا قال أبو العباس صلوات الله عليه ؟ قال نعم ! فالتفت الى ابي حنيفة — رحمه الله — وقد علاه الغضب ، فقال تخالف أبا العباس فقال ابو حنيفة لم اخالف أبا العباس ، ولقول ابي العباس عندي تأويل يخرج على الصحة ولكن بلغني ان النبي — ص — قال « من حلف على يمين واستثنى فلا حنث عليه » . وإنما وضعناه اذا كان موصولا باليمين ، وهؤلاء لا يرون خلافك . لهذا يحتجون بخبر ابي العباس ، فقال له المنصور كيف ذلك ؟ قال : لانهم يقولون إنهم بايعوك حيث بايعوك تقية وان لهم الثنيا متى شاءوا يخرجون من بيعتك ولا يبقى في اعناقهم من ذلك شيء قال هكذا ، قال : نعم فقال المنصور : خذوا هذا يعني محمد بن اسحاق فأخذ وجعل رداؤه في عنقه وحبسوه » ج ١ ص ١٤٢ — ١٤٤ »

كان طبيعيا : أن يجادل الشافعي عن استاذه وعن مذهب استاذه وقد نهض الشافعي لذلك قويا بعقله ، قويا بعلمه ، قويا بفصاحته قويا بشباب في عنفوانه ، وحمية عربية ، وقد رويت لنا نماذج من دفاع الشافعي عن مالك ومذهبه : « عن محمد بن الحكم قال : سمعت الشافعي يقول : قال لي محمد بن الحسن : صاحبنا أعلم من صاحبكم يعني ، أبا حنيفة ومالكا ، وما كان على صاحبكم ان يتكلم وما كان لصاحبنا أن يسكت ، قال فغضبت وقلت نشدتك الله من كان أعلم بسنة رسول الله «صلعم» مالك أو أبو حنيفة ؟ قال : مالك ، لكن صاحبنا أقيس ، فقلت : نعم ومالك أعلم بكتاب الله تعالى وناسخه ومنسوخه وسنة رسول الله « صلعم » من أبي حنيفة فمن كان أعلم بكتاب الله وسنة رسوله كان أولى بالكلام » الانتقاء ص ٢٤

كان هذا الحجاج عن مذهب مالك في قدوم الشافعي الى العراق أول مرة ، وأقام الشافعي في العراق زمنا غير قصير ودرس فيه كتب محمد بن الحسن وغيره من أهل الرأي فيما درس في العراق ولازم محمد بن الحسن ورد على بعض أقواله وآرائه نصيراً لأهل الحديث .

ولا شك أن الشافعي في ذلك العهد كان متأثراً بمذهب أهل الحديث ومتأثرا بملازمة عالم دار الهجرة فهو كان يدافع عن مذهبه يدافع حميته لاستاذه وأنصار أستاذه المستضعفين

أما البزاز الكردري فهو يروي في سبب اختلاف الشافعي على محمد بن الحسن روايات يقول فيها : « عن عبد الرحمن الشافعي : لم يعرف الشافعي لمحمد حقه وأحسن اليه فلم يف له . وعن اسماعيل المزني قال الامام الشافعي : حبست بالعراق لدين فسمع محمد بن الحسن فخلصني فأنا له شاكر من بين الجميع . وعن ابن سماعة قال : أفلس الشافعي غير مرة فجاء الى محمد فحدث أصحابه فجمع له مائة الف فكان فيه قضاء حاجته ثم أفلس مرة أخرى فجمع له سبعين الف درهم ثم أتاه الثالثة ، فقال : لا أذهب مروءتي من بين أصحابي ، لو كان لك خير لكفاك ما جمعت لك ولعقبك وكان قبل هذا مولعاً بكتبه يناظر أوساط أصحابه ويعـــد نفسه منهم ، فلما أتى محمداً الثالثة أظهر الخلاف » المناقب — ج ٢ — ص ١٥٠ ، ١٥١

والشافعي نفسه يرد على ذلك ، فقد أخرج الحاكم من طريق محفوظ بن أبي توبة قال : سمعت الشافعي يقول : يقولون . أني إنما أخالفهم للدنيا ، وكيف يكون ذلك والدنيا معهم ؟ وانما يريد الانسان الدنيا لبطنه وفرجه ، وقد منعت ما ألذ من المطاعم ولا سيل الى النكاح ، يعني لما كان به من البواسير ولكن لست أخالف الا من خالف سنة رسول الله . ابن حجر ص ٧٦

ولما عاد الشافعي الى بغداد في سنة ١٩٥ هـ — ٨١٠ — ٨١١م ليقيم فيها سنتين اشتغل بالتدريس ، والتأليف وروى البغدادي في كتاب « تاريخ بغداد » :

« عن ابي الفضل الزجاج يقول : لما قدم الشافعي الى بغداد وكان في الجامع إمانيف واربعون حلقة ، أو خمسون حلقة فلما دخل بغداد مازال يقعد في حلقة حلقة ويقول لهم : قال الله وقال الرسول وهم يقولون قال أصحابنا حتى مابقي في المسجد حلقة غيره» ص ٦٨ ، ٦٩

واختلف الى دروس الشافعي جماعة من كبار أهل الرأي كأحمد بن حنبل وابي ثور فانتقلوا عن مذهب أهل الرى الى مذهبه ، ويروى عن احمد ابن حنبل : انه قال «ما احد من أصحاب الحديث حمل محبرة الا وللشافعي عليه منة » فقلنا : يا أبا محمد كيف ذلك ؟ وقال ان أصحاب الرأي كانوا يهزؤون بأصحاب الحديث حتى علمهم الشافعي وأقام الحجة عليهم » الانتقاء ص ٧٦

ووضع الشافعي في بغداد كتاب : « الحجة » « روى ابن حجر عن البويطي : ان الشافعي قال : اجتمع على أصحاب الحديث فسألوني أن أضع على كتاب ابي حنيفة فقلت : لا أعرف قولهم حتى انظر في كتبهم ، فكتبت الى كتب محمد بن الحسن فنظرت فيها سنة حتى حفظتها ثم وضعت الكتاب البغدادي يعني «الحجة » ص ٧٦

ويظهر من ذلك : ان مذهب الشافعي القديم الذي وضعه في بغداد كان في جل أمره ردا على مذهب أهل الرأي وكان قريبا الى مذهب اهل الحديث

وروى البغدادي عن حرملة : أنه سمع الشـــافعي يقول : « سميت ببغداد ناصر الحديث » ج ٢ ص ٦٨

ونقل ابن حجر عن البيهقي : ان كتاب الحجة الذي صنفه الشافعي ببغداد حمله عنه الزعفراني ، وله كتب أخرى حملها غير الزعفراني منها : كتاب السير ، رواية أبي عبد الرحمن أحمد بن يحيى الشافعي » وفي كتاب كشف الظنون :

(« الحجة » للامام الشافعي ، وهو مجلد ضخم ألفه بالعراق اذا اطلق القديم من مذهبه يراد به : هذا التصنيف ، قاله الاسنوي في المهمات ويطلق على ما افتى به هناك أيضا)

ثم انتهى الشافعي الى مصر فآزره تلاميذ مالك حتى اذا وضع مذهبه الجديد وأخذ يؤلف الكتب رداً على مالك تنكروا له وأصابته منهم محن

« قال الربيع : سمعت الشافعي يقول : قدمت مصر لا أعرف :

أن مالكا يخالف من أحاديثه إلا ستة عشر حديثا فنظرت فاذا هو يقول بالأصل ويدع الفرع ، ويقول بالفرع ويدع الأصل

ثم ذكر الشافعي فى رده على مالك : المسائل التى ترك الاخبار الصحيحة فيها بقول واحد من الصحابة أو بقول واحد من التابعين أو لرأى نفسه

ثم ذكر : ماترك فيه أقاويل الصحابة لرأى بعض التابعين أو لرأى نفسه وذلك : أنه ربما يدعى الاجماع وهو مختلف فيه

ثم بين الشافعي أن ادعاء : ان اجماع أهل المدينة حجة ، قول ضعيف . الرازى ص ٢٦

ويروى بعض الرواة : ان الشافعي انما وضع الكتب على مالك لأنه بلغه أن بالاندلس قلنسوة لمالك يستسق بها وكان يقال لهم : قال رسول الله «صلعم» فيقولون : قال مالك ، فقال الشافعي : إن مالكا بشر يخطىء فدعاه ذلك الى تصنيف الكتاب فى اختلافه معـــه وكان يقول استخرت الله تعالى فى ذلك . ابن حجر ص ٧٦

ومذهب الشافعي الجديد الذى وضعه فى مصر هو الذى يدل على شخصيته وينم عن عبقريته ويبرز استقلاله

« سئل احمد ما ترى فى كتب الشافعي التى عند العراقيين أهى أحب اليك ، أم التى بمصر ؟ قال : عليك بالكتب التى وضعها بمصر فانه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها ثم رجع الى مصر فأحكم تلك كما يرويه الذهبى فى تاريخه الكبير » هامش الانتقاء ص ٧٧ »

(يتبع)

اقرأ مجانا

بدلا من أن تشترى الكتب الجديدة يمكنك أن تشترك فى المجلة الجديدة لصاحبها سلامه موسى ، سنة باربعين قرشا أو نصف سنة بعشرين قرشا . وبادارتهـــا مئات من الكتب الحديثة فى العربية والافرنجية ، فلتأت تستعير منها ما تحب قراءته من دار الادارة فى ١٢ شارع نوبار بجوار المالية وعين بذلك هذه الكتب

صفى الدين الحـــلى

— ٢ —

هذه هى الناحية اللفظية ، وأما خصائص معانيه فانها تتمثل فى شدة اتصالها بعلوم البيان من كثرة التشبيه واستعمال المجاز والكنايات ، وقد ساعده على الاجادة فى ذلك ماوهبه من قوة الخيال ودقة المشاهدة كما سنعرف ذلك حين التحدث عن وصفه . وتتمثل أيضا فى طغيان الاشارات والمصطلحات العلمية عليها إذ تراه يستغل معارفه فى علوم الفقه والحديث والفلسفة والتصوف فى استعارة معانيه لأى موضوع شاء ، وكثيرا مايضرب الأمثال بحوادث التاريخ أو يستشهد بالقصص العامة الشائعة كما ترى قاعدة التربية الحديثة فى إظهار المعقول بثوب المحسوس .

وتعد معانيه فوق ذلك من النوع المتلىء الدسم ، فهى تتدفق قوية فى طريقها الى الغاية من غير تفكك أو فضول أو تدنس بالمعانى العامية المبتذلة ، ويحس قارؤها بروح الصدق سارية بين أجزائها فى أغلب الاغراض لأن الشعر كان قطعة من نفس صفى الدين لاعلما يحرك به لسانه ، أما فى غير الغالب فقد كان يقحم نفسه فى اغراض متكلفة لاصلة بينه وبينها غير حب المحاكاة والصنعة كما أنه انحدر إلى أعماق الابتذال حين خاض فى المجون ..

وقد جال صفى الدين بهذه المعانى فى جميع الميادين التى عرفها الشعر العربى إلى وقته ، حائزا قصب السبق فى كثير منها فتناول الفخر والمدح والوصف والغزل ، وهى أركان شعره الكبرى ثم الحكمة والخمر والزهد والالغاز والمجون ، وهى العمد الثانوية ، ونحب قبل ان نستعرض هذه الميادين ان نسجل هنا شهادة أحد المعاصرين له وهو صاحب «الفوات» المتقدم ذكره إذ قال : تعجبك ألفاظه المصقولة ومعانيه المعسوله ومقاصده التى كأنها سهام راشقة وسيوف مسلولة » ! وما أثمنها شهادة من معاصر كان أجدر به الجحود والنكران

***

لم يكن صفى الدين شاعرا قوالا فحسب ، وإنما كان بطلا مغوارا يعرف كيف يكتب بالسيف على الرقاب كما يخط بالقلم على الطرس ، وذلك لانه نشأ من أسرة نبيلة قوية كانت هى ضاحية الولاية على « الحلة » وبعض بلاد العراق المحيطة بها ، وكان يجانبها أعداء

وحساد كثيرون يحاولون ان ينزلوها من المكانة السامية بكل الوسائل من غدر دنيء أو قتال صريح ، حتى إن أحد أخوال هذا الشاعر قد قتل وهو بين يدى ربه فى المسجد العام فكان هذا الموقف الخطر داعيا إلى تنشئة أبناء الأسرة نشأة حربية باسلة ليستطيعوا ان يأخذوا من اعدائهم بالثأر ويردوا فى نحورهم كيدهم ولهذا كان أول الدواعى التى حدت بشاعرنا الى الشدو والغناء ذلك الشعور القوى الذى كان يجيش فى خلايا قلبه شعور العزة القومية والمجد والكرامة ، وقد غرس فيه هذا الشعور طموحا وثابا إلى مشارف العلا فظل يضرب على وتر الفخر والحماسة بأروع الأغانى الشجية التى تبرى صدر الجبان وتلهب عزيمة الشجاع المقدام ، فشعره فى ذلك مثل سام من أمثلة الأدب الحى القوى الذى ننشده اليوم فى عصر انحلال العزائم وخمود الشهامة ! وإذا شئت فترنم معه وهو يشيد بذكر قومه :

قوم إذا استخصموا كانوا فراعنة ... يوما وان حكموا كانو موازينا
تدرعوا العقل جلبابا فان حميت ... نار الوغى خلتهم فيها مجانينا
اذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة ... وإن دعوا قالت الايام آمينا
إذا جرينا إلى سبق العلا طلقا ... إن لم نكن سبقا كنا مصلينا
تدافع القدر المحتوم همتنا ... عنا وتخصم صرف الدهر لوشينا
عزائم كالنجوم الشهب ثاقبة ... ما زال يحرق منهن الشياطينا

ولم يقصر الشاعر همه على مجرد الفخر بهذه الارادة التى تدافع القدر المحتوم وتخصم الدهر ؛ بل كان بين قومه فى منزلة الشاعر الجاهلى فى قبيلته يشترك عملا فى تدبير سياستهم ويحرضهم قولا على الحرب إذا ثلمت كرامتهم وينعى عليهم لو أحجموا يوما عن أداء الواجب ، وكأنما كان شعره جريدة « الحلة » القومية تشير عليهم كل آن بسديد الرأى وماضى العزم وفى نار هذه المواقع المشبوبة تلقى الشاعر دروسا من الحكمة جديرة أن توضع بين عينى كل من يحلم بالمجد أو يطمح إلى العلياء ، فهو رجل عملى لا يؤمن بالحظ والخيال الكاذب ، ولكنه يرى طريق النجاح مرصوفا بالكد والعناء لا تذلله إلا الارادة الجبارة والنفس التى لا تلين . وهو رجل يستنكف أن يجرى ماء الحياة بين جنبيه ثم لا يسعى ويقدم ويصعد حتى يراك قمة الشرف والسمو ، وكم يسخر ويثور على هؤلاء القوالين الذين يقتنعون بالالفاظ الرنانة والأصوات الجوفاء ، ألا تراه يقول

لست ممن يدل مع عدم المجد ... بفضل الآباء والأجداد
ما بنيت العلياء إلا بجدى ... وركوبى أخطارها واجتهادى
وبلفظى اذا نطقت وفضلى ... وجدالى عن منصبى وجلادى
غير أنى وإن أتيت من اللفظ ... م بلفظ يذيب قلب الجماد
لست كالبحترى أفخر بالشعـ ... ـر ، وأثنى عطفى فى الايراد
واذا ما بنيت بيتا تبخترت ... كأنى بنيت ذات العماد
إنما مفخرى بنفسى وقومى ... وقناتى وصارمى وجوادى

ومن منا لا يحفظ قوله السائر :

لا يبتطى المجد من لا يركب الخطرا ... ولا ينال العلا من قدم الحذرا
ومن أراد الملا عفوا بلا تعب ... قضى ولم يقض من إدراكها وطرا

وله غير ذلك الشعر الجيد المصقول يصور فيه همته وتفضيله الموت على الذل والنفور من اليأس حتى فى ساعة الفشل والاستهزاء بالعدا والأخطار ، ويالها من مبادىء يبتسم لها المجد .

***

ولكنه ما كاد القرن الثامن يذر فى الأفق حتى احاطت بالعراق خطوب وفتن بانشقاق أهله على انفسهم وبأبطال المغول فى أحداثه فاتحين متجبرين ، فاضطرت الولايات الصغيرة التى لا تستطيع الدفاع عن نفسها الى الاحتماء بما حولها من الدول الحصينة القوية . وهكذا اعتمدت أسرة الحلى على الدولة الارتقية المقيمة بماردين وعلى رأسها الملك المنصور نجم الدين غازى وقد كانت تتمتع باستقلال داخلى ورائى ، ولكنها تعترف بسيادة مصر ، وفى عاصمتها هذه يقول « ياقوت فى معجمه » : إنه ليس فى الارض أحسن من قلعتها ولا أحصن ولا أحكم » ، فدخل الشاعر الى بلاط هذا الملك بحرمته بادىء الامر على مساعدة قومه والانتصار لهم على اعدائهم ، ثم مالبث ان صار شاعرا رسميا له ، يهتف بمناقبه وينثر ذكراه . وعند ذلك ابتدأ ظهور النوع الثانى من شعره وهو المدح .

حدث صفى الدين عن نشوء هذا الانقلاب فى شعره فقال : « كنت عاهدت نفسى ألا أمدح كريما وإن جل ، ولا أهجو لئيما وإن ذل ، ولكن الحوادث ألجأتنى إلى هجر عرينى .. فحططت رحلى بفناء فخر الأواخر والاوائل ملك ديار بكر بن وائل فذ ثبتوا بالاحسان

قدمى ، وصانوا عن بنى الزمان وجهى ودمى ، حمدت لقصدهم مطايا الآمال ، وقلت لاخيل عندك ولامال ، فليسعد النطق ان لم تسعد الحال » فمن ذلك الحديث نرى ان مدحه لم يكن نفاقا او رياء يتخذه وسيلة للاستجداء والسؤال ، وانما كان نتيجة عاطفة محمودة هى عاطفة الشكر وعرفان الجميل . ويدل كذلك على أنه كان يفهم غاية الشعر حق فهمه ويؤمن بقدسيته الفنية ، فكان يربأ به أن يكون عبد الغرض ورسول الحاجة ولاغرو فقد عرفنا صفى الدين شاعرا مطبوعا لا مصنوعا .

واذا أحصينا المدائح التى نظمها وهى كثيرة مستفيضة ألفيناها تكاد تنحصر فى أربعة مسالك : مدح الرسول وآله ، ومدح الاسرة الارتقية المذكورة ، وبنى قلاوون ، وبيت المؤيد ، وكلها تسير على على نمط متحد فى عدم الوصول إلى المدح إلا بعد مقدمات طويلة فى موضوع آخر يسترسل فيها ثم يبذل جهده فى اختراع وسائل التخلص إلى غرضه . غير أنه كان يتصرف فى انواع هذه المقدمات بألوان شتى ، فتارة تكون غزلا وأخرى وصفا لرحلة فبارة تكون فخرا أو خمرا ، وقد تكون وسما لمنظر طبيعى جميل ، فكأن كل قصيدة منقسمة الى شقين لكل منهما غايته وصورته ولا يلتقيان إلا بذلك الرابط الواهن الذى يسمونه « حسن التخلص »

وأوضح ماتراه فى معانى المدح النبوى ظاهرتان تشير احداهما إلى مذهبه والأخرى إلى خلقه : فقد عهدناه محبا مخلصا لآل البيت والسلالة العلوية يذكرهم كلما ذكر النبى تقربا اليه بأهله ، ويناضل تحت لوائهم كل من عرض لهم بمذمة أو نقيصة ، مرددا انهم أجدر الناس بالخلافة ، مسجلا على بنى العباس طغيانهم واغتصابهم لذلك الحق الثابت . وقد سأله نقيب الاشراف بالعراق أن يجيب عبد الله بن المعتز عن قصيدته التى غض فيها من قدر العلويين ، فأجابه بقصيدة دامغة الحجة كأنها جدال على لولا ما فيها من صور العاطفة الثائرة . وهذه العاطفة الشيعية تدل على حقيقة تاريخية كبيرة ، هى أن العلويين كانوا لايزالون يثيرون دعاتهم فى العراق أملا فى أن يخلفوا العباسيين بعد زوال دولتهم

أما الظاهرة الثانية فهى اعترافاته الخطيرة أمام النبى (ص) بما جنى فى حياته من عبث وجور على الشريعة يصفها بانها جرائم تندك منها الجبال ، ولا نحسبها مبالغة منه لأنا نعرفها حقيقة ثابتة فى خلقه ، إذ كان حى الشيطان واهى الزمام فى بداءة هواه يعطى لنفسه مانشتهى ثم يعود الى ربه معتقداً دائما أن الله غفور رحيم ، ولذا نظن أنه لم يفكر فى هذا الندم الا بعد ان وخط المشيب وآذنت شمس حياته بالمغيب .

وأما مدائحه فى بنى ارتق فحسبنا أن نقول عنها إنها جمعت كل ماأنبتت القرائح فى الأدب العربى من أوصاف الخلق الحميد ، ففيها كرم حاتم ووفاء السموءل وحكمة لقمان وشجاعة خالد وهكذا حتى تطوف على ذرى الفضائل الانسانية ، فهى مليئة حقا بالمبالغة والاغراق إلى أبعد مدى . ويظهر أن الشعراء كانوا لايعدون بلاغة المدح فى تصوير الحقيقة الواقعة وإنما يقيسونها بعظم المثل الاعلى الذى يتخيله الشاعر ثم يرسمه فى شعره . وهذه القصائد قسمان : قسم متفرق مرتبط بالمناسبات العارضة ، وقسم أخر مجتمع الاجزاء كديوان مستقل يحتوى على تسع وعشرين قصيدة كل منها تسعة وعشرون بيتا وقد اسماه (دور النحور فى مدح الملك المنصور)

(له تكملة) ضياء الريس

مطبعة سكر
تنشر الصحف تبعث المؤلفات
ممونة بأحدث ماكينات التطبير وصانعة
الدفاتر وتجليد الكتب تفننوا اليها
بأوراقكم وأفكاركم ترد لها لكم كتبا
مجلات ودفاتر تبارك الله أحسن الخالقين

مِنْ طرائفُ الشِّعرِ

عصفورة الوادى

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

لقد رقد السُّمّارُ حتى خلا النادى
ولم تبق يقظى غير عصفورة الوادى
شدت فى هدوء الليل تندب غائباً
وفى شدوها شجو لسامعه باد
تردده فى خير لحن ... ه
وتنشده شعراً على خير انشاد
فياحسن شعرٍ محزنٍ مطربٍ معاً
ويا حسن لحنٍ ثم يا حسن ترداد
فبتُّ وعينى لحظُها يخرق الدجى
وسمعى على بعدٍ إلى الطائر الشادى
قد انتبهت فى ليلها فتذكّرت
أليفاً غداً عنها ولم يَعُدُ الغادى
وبرّحت الذكرى بها فترنّمت
ترنُّمَ ثكلى قد أصيبت بأولاد
وقالت تناجى نفسَها ما لصاحبى
تأخر عن ميعاده غير معتاد
وقد كان وجهُ الليل مبدأ عوده
وذلك للأطيار آخر ميعاد
فما عاد عصفورى إلىّ لشقوتى
وكان إليه فى حياتى إخلادى
أأبعد عن مثواه فى طيرانه
فضلّ طريقَ العود من بعد إبعاد
وكيف تضلّ الطيرُ عن مستقرّها
وكل كثيبٍ فى الطريق لها هاد
أم احتازه الصيّادُ فى شَرَكٍ له
أم اختطفته برثنُ الأجدل العادى
أم التقفته هِرّةُ البَرّ بغتة
أم ابتلعته حيةٌ بعد ارصاد
لقد كان لى إغرادُه خير سلوة
كما كان يُسليه عنّى الهمّ إغرادى
وكنا اذا طرنا معا لرياضة
نُحلّقُ فى جوٍّ من الصبح ورّاد
وبعدئذٍ نهوى معا فى هوادة
الى فَنَنٍ غضّ من البان ميّاد
وكنا على الأيام زوجين فى رضًى
فأفردنى دهرى وأوحش افرادى
بقيتُ لأرزاء الزمان وحيدة
بعشٍّ نضيدٍ من هشيم وأعواد
وكنا بنيناه معا فوق أيكةٍ
تُظلّ على ماءٍ وعشبٍ وأوراد
بنيناه حتى تمّ نجهد نفسَنا
لنحيا معا فى غبطةٍ ثم إرغاد
نُقيم بقربى ثم فى العشّ واضعا
اذا ما غفا ألغادُه فوقَ ألغادى
ولكن إلفى قد تخطفه الردى
فأفسد عيشى بعد أىّ افساد
فياليت إلفى كان قد ظلّ سالما
وإنى بريشى والحياة له فاد
ذهبتَ ولم ترجع فهل كان واقفا
لك الموت فى جنب الطريق بمرصاد
بربك عُدْ لى أو على الموت دلّنى
فانى إلى كأسٍ شربت بها صاد

جميل صدقى الزهاوى

بنى مصـــر !

للاستاذ فخرى أبو السعود

إلام تغيب الشمس عنا وتطلعُ ... ونلعب فى ظل الحياة ونرتعُ؟
رضينا بخفض العيش، والذلُّ حوله ... وما الذل إلا حظُّ من بات يقنع
نهيمُ بهزل لا نهيم بغيره ... ونحجم عن أخطارها وصعابها
وإن نبتغ العليا ترانا كأننا ... نسير على رِسْل وللعصر حولنا
أساغ بنو الشرق الحياةَ ذليلةً ... هُمُ قادة الدنيا ونحن ورَاءهمْ
رضينا بأن نحيا على الغرب عالةً ... نُدِلُّ ونستعلى بمخترعاتهم
ونَخْرُ بالعلم الذى هُمْ عيُونُه ... وتَرْوُمُ فى أعطافها من حضارة
وكم تائهٍ منّا بثوبٍ منمَّقٍ ... وكم متعيرٍ باسمهم ويخاله
لهم حاضرٌ دالٍ وماضٍ مؤثَّل ... إذا ذكروا أوداءهم فخروا بها
يطولون بالجاه العزيز تفاخراً ... ونَشْحَذ من آبائنا وجدودنا
هم دوننا أهلُ الفخار ولم يكن ... نتيهُ بتاريخ لهم وآثر
وماهى مالم نحْنَ إلا صحائفٌ ... وفيمَ تباهينا بعزٍ ورفعةٍ
تبرأ ماضى المجد منه ولو درَى ... وريعَ الفراعينُ العظامُ وأجفلوا
رأوْا أمةً تمشى وراء زمانها ... وتقنع من حظ الحياة بدونها
وأوغل فيها الأجنبى نيوبهُ ... وقد عهدوها النجمَ أو هى أمنعُ
وها لهمُ خيلٌ بمصرَ ورايةٌ ... إلى راية النيل المفداة ترفع
كأنى أصغى من علاهم إلى صدًى ... يشقُّ القرون الداجيات فيُسْمِع
يقرن: بنى مصرا الحياة أو الردى ... ومالكمُ من دون هذين مشرع
فليست حياة السبْى إلا سيادة ... ترُدُّ طِماع الطامعين، وترْدَعُ
وليس الردى إلا حياة مهينةً ... يقرُّ بها الشعب الذليل المضعضع
أيرضخ شعب النيل للغير راضياً ... بمابات يأباه من الزنج أوكعُ؟
هلموا إلى جد الحياة ونفضوا ... بقية هذا النوم فالعصر مسرع
فما الأمر لو تدرون إلا عزيمة ... تصارع شدات الحياة فتصرَعُ
تعافُ ذلول العيش قد لان ملمساً ... وتضرب فى وعر الحياة وتقرع
وإنى سلكتم فاجعلوا مصر قبلةً ... وحول علاها الملتقى والتجمعُ
شريكتم فى سرِّكم وجهارِكمْ ... وحين تغيب الشمس عنكم وتطلع
وولوا إلى الأعمال لا القول همكم ... فما القول بالمجدى ولا الزعم ينفع
رويدكم فاتكم منها الجناة ففى غدٍ ... ستزهرُ للجيل الجديد وتونعُ

بائع حصير

جاء طفل يروم بيع حصير ... زخرفته بالنقش أيدى الصين
فيه بحر يبدو، وفى البحر فلك ... وعلى الفلك بضع حور عين
وعليه نوتية من غوان ... جادفات فيه بكل سكون
فتمنت نفسى الركوب بفُلك ... يتحلى بلؤلؤ مكنون
سعد البحر فى حشاه وفى أعـ ... ـلاه در مكمَّل للجبين
وكأن الفلك الذى ضم غيداً ... صدف قد طفا بدر ثمين
جاء فى الطفل وهو يحسب أنى ... ذو نقود تغرى وكم دفين
ثم قال اشتر الحصير وزين ... لك بيتا يليق بالتزيين
قلت مالى بيت أزينه أو ... أى بيت قناؤه يحوينى
كل هذا الوجود بيتى ومالى ... فيه نيت عند الدجى يؤوينى
كل ليل آوى لبيت كراه ... بى لا يرتضى ولا يرضينى

البقيه على صفحة ٢٨

الشعر والموسيقى

للشاعر الكبير بول فاليرى

عضو المجمع الفرنسى

مترجمة بقلم الأديب عبد الرحمن صدقى

خير عون على ادراك مافى عمل الشاعر من مشقة وصعوبة ، أن نقارن بين مافى يديه من عتاد عند البداية ، وبين العتاد الذى يتصرف فيه الموسيقار . فانظروا هنيهة ماهو مبذول لهذا وماهو مبذول لذاك وهما مقبلان على العمل ، وقد خرجا من حيز النية الى حيز التنفيذ

فما أبسط الموسيقار ! إن تطوره قد هيأ له حالا كثيرة المزايا . فوسائله معينة مفصلة ، ومادة تأليفه موضوعة وضعها المحكم من قبله . وقد يصح تشبيه بالنحلة حين لا يصبح لها هم غير عسلها ، حين تكون أقراص الموم المنتظمة وتخاريب شهادها مصنوعة قبلها . فمهمتها مقدورة مقصورة على اخراج خيرما عندها . ذلكم حال الموسيقار . بل انه ليصح القول بأن الموسيقى قديمة الوجود ، وأنها كانت تنتظر الموسيقار . وقد مضى عليها وهى تامة الوضع دهر دهير .

فكيف كانت للموسيقى أوضاعها ؟ نحن نعيش بالسمع فى عالم الضوضاء ، ومن جملة هذه الضوضاء تنفصم بمجموعة من ضوضاء لها بساطة خاصة انفردت بها ، بحيث تميزها الاذن وتقوم لها بمثابة المعالم . وتلك عناصر لها فيما بينها علائق بديهية . وهذه العلائق الصحيحة الملحوظة بين العناصر ندركها ادراكنا للعناصر نفسها . فالفترة بين نغمتين نحسها مثل احساسنا بالنغمة

ومن ثم فهذه الوحدات ذات الرنين ، هذه النغمات ، قمينة بأن تتركب . بها تلكم التواليف المطردة ، وتلكم المنظومات المتتابعة أو المتحدة فى الزمن ، التى تطلع لنا فتروعنا ببنائها وسياقها وتواشجها وتقاطعها .

ونحن نميز حق التمييز بين النغمة والضوضاء ، وقد ندرك التباين بينهما ، وهذا احساس له خطورة كبرى ، لأنه التفريق بين الخالص وغير الخالص ، ويستطرد ذلك الى التفريق بين النظام والفوضى ، وهذا أيضا يرجع الى أحكام قوانين ذات أثر فعال . ولكننا نكتفى بهذا القدر

وهذا التحليل أو التمييز للضوضاء قيض للانسان ايجاد الموسيقى على أنها عمل قائم بذاته ، واستقلال لعالم الاصوات . والفضل فى انجاز هذا أو على الأقل فى ضبطه وتوجيهه وجمع قوانينه ، يرجع الى علم الطبيعة ، الذى صار استكشافه هو ذاته بهذه المناسبة وعرف بأنه علم المقاييس . وقد استتاع هذا العلم من قديم الزمان الملائمة بين القياس وبين الاحساس ، وأمكنه البلوغ الى نتيجة كبرى وهى احداث الاحساس بالصوت على نحو دائم متماثل بواسطة آلات . وما هذه المعازف فى حقيقتها الا آلات للقياس !

فالموسيقار يجد فى حوزته مجموعة وافية من الوسائل المخزونة المفصلة تقابل بين الاحساسات والنغمات أتم المقابلة . فكم حاضر عزفه حاضرة بين يديه ، محصاة العدد ، مرتبة الصفوف . وهذه الاحاطة الفنية بوسائله بحيث لم يقف عند الالمام بها بل نفذ إلى كنهها وتزود بها فى صميم نفسه ، تمكنه من التقدير والتدبير ، ومن البناء والتركيب ، من غير أن يشغل خاطره بمادة عمله ، وميكانيكية فنه بوجه عام .

ويحصل من ذلك ، أن يكون للموسيقى مجال خاص بها ، هو مجالها على الاطلاق . واذا عالم الفن الموسيقى ، أى عالم الاصوات ، ظاهر الانفصال عن عالم الضوضاء . وبينما ان حركة من الضوضاء لاتبعث فى وعينا إلا حدثا مفردا . فان نقرة واحدة من النغمات تبعث وحدها كل العالم الموسيقى . وهذه القاعة التى أحاضر فيها والتى تحسون فيها نغط صوتى أو غيره من شتى العوارض المسموعة ، اذا أنتم سمعتم فيها على حين غفلة نغمة من النغمات ، اذا اهتز وتر أو نبضت آلة منغومة

فانه لايكاد هذا الصوت الفذ الذى لايختلط بغيره من الاصوات العادية يمس اسماعكم ، حتى تحسون فيه فاتحة واستهلالا وحتى ينشأ فى الحال جو آخر ، وتخيم على الجميع حالة انتظار خاصة ، ويؤذن بالظهور نظام جديد بل عالم جديد ، وتتهيأ نفوسكم اصاغية لاستقباله ، بل ان بها لجنوحا من تلقاء نفسها الى توسيع مقدماته : والى توليد احساسات لاحقة بالاحساس الوارد على نفوسكم ، وعلى شاكلته وفى مثل صفاته

وكما توفر لنا الدليل طرداً فهو متوفر عكسا

فاذا وقع فى قاعة من دور السماع ، والالحان ترن فيها وتسودها ، أن هوى مقعد ، أو سعل ساعل أو اصطك باب ، فسرعان

ماتشعر بانقطاع لاتدرى ماهيته وبان شيئا لايمكن وصفه ، أشبه بالسحر ، قدبطل أو بالزجاج ، قد تكسر اوانشعب .

وحاصل القول ان هذا الجو ، هذا السحر القدير الوشيك العطب ، هذا العالم من الاصوات ميسور لاهون مؤلف موسيقى وذلك بطبيعة فنه وبما يفيده مباشرة من هذا الفن .

وبخلاف هذا حالة الشاعر ، فان ما أوتيه اقل حظا من صاحبه بما لايحد . فتراه يعالج مطلبا لا يختلف كبير اختلاف عما يرومه الموسيقار وهو محروم مما تقدم بيانه من المزايا العظيمة . فهو ملزم بان يخلق مبدئاً ومعيداً فى كل دقيقة ، مايلقاه الآخر جاهزا ميسرا

يلقى الشاعر الأمور على شر حال من السوء والفوضى . فبين يديه هذه اللغة المعتادة ، هذه المجموعة من الوسائل الجافية الغليظة التى يطرحها كل علم مضبوط لكى يبتدع لنفسه ادوات التعبير عن اغراضه . فالشاعر لابد له من استعارة هذه الطائفة من الالفاظ والقواعد المأثورة المنقوله غير المعقولة التى صاغها من صاغها غريبة فى استعمالها ، غريبة فى تفسيرها ، غريبة فى قيد أحكامها

وأقل الامور صلاحا لمقصد الفنان ، هوهذه الفوضى الاصيله التى ينبغى له فى كل لحظة ان يستخلص منها عناصر النظام المنسوق الذى يريد استحداثه . ولم يرزق الشاعر بعالم من علماء الطبيعة فيحدد له الخصائص الدائمة لعناصر فنه ، ويعين علائقها ونسبها والاحوال المتماثلة لاصدارها . وليس لديه مفتاح للدوزان ! ولا ميزان لضبط حركة الاصوات ولا واضعون للسلم الموسيقى ، ولا متطلعون فى أصول تركيب الأنغام ! وليس يصح عنده علم يقين ، اللهم الا العلم بالتموجات الصوتية المعنوية فى اللغة ، على أن هذه اللغة لا ترد مورد النغمة فى اتجاه واحد على السمع وهو الحاسة المثلى للتوقع والاصغاء ، بل اللغة بعكس ذلك ، خليط من المنبهات الحسية والنفسية غير متماسكة ، وكل كلمة هى مجموع وقتى من المؤثرات لا رابطة بينها ، فالكلمة تجمع صوتاً ومعنى ، بل أخطأت ، فان كل كلمة هى عدة أصوات وعدة معان معاً . أجل ، عدة أصوات ، أصوات عداد مافى الوطن الواحد من أقاليم ، بل عداد ما فى كل اقليم من أناس ، وهذا ظرف عصيب على الشعراء ، اذ يفسد الوقع الموسيقى الذى دبروه ، وتشوه معالمه بتصرف القراء . ثم ، عدة معان ، لان الصور الذهنية التى توحيها لنا كل كلمة لاتخلو بوجه عام من اختلاف وصورها الثانوية التابعة تجد مختلفات

فالقول شىء مركب ، وهو مجموع خصائص مرتبطة بالفعل ومستقلة بطبيعتها فى آن واحد . والكلام يمكن أن يكون منطقيا عامراً بالمعنى ولكنه خلو من الايقاع خلو من الوزن ، وقد يكون عذب الورود على السمع وهو سخف ولغو ، وقد يكون واضحا وفارغا ، غامضا ولذيذا . . . .

ويكفى لتصوير ضروب الكلام وكثرتها العجيبة ، أن نعدد سائر العلوم التى نشأت للتوفر على بحث هذا التنوع ، وليستثمر كل علم عنصراً من عناصرها . فالواحد منا يستطيع دراسة نص من النصوص على وجوه شتى كل منها مستقل بذاته ، فيمكنك الرجوع به دواليك الى علم الصوت ، وفقه اللغة ، وتركيب الكلام والمنطق والبيان — وزد عليها الوزن والاشتقاق

وهاهو ذا الشاعر يصارع هذه المادة غير المستقرة وغير الخالصة الى حد بعيد . فهو مضطر الى النظر طورا فطورا فى رقة الالفاظ وفى معناها ، واستيفاء الانسجام وتنغيم الفقرات ، فضلا عن شتى المطالب الفكرية والمنطق والنحو وموضوع القصيد وافانين البديع والوشى بله المتواضع عليه من القواعد

فتاملوا مبلغ الجهد الذى تقتضيه معالجة الاتقان لكلام يجب ان تتوافر فيه ، بمعجزة من المعجزات ، جميع هذه المطالب دفعة واحدة ؟

بائع حصير

(بقية المنشور على صحفة ٢٦)

لست أشرى الاثاث كل أثاث ... لعيونى يلوح ، ملك عيونى
كل هذا الوجود بيتى وفيه ... من بديع الاثاث ما يكفينى
فاثاث البيوت ليس بأبهى ... من رياض الاقاح والياسمين
صوروا البحر فى الحصير لكى يشـ
ـرى ويقنى والبحر يزخر دونى
واذا صوروا الغوانى بفلك ... فخيالى مصور ذو فنون
صوروا الكائنات تزهو وعنـ
ـدى صور فنن عالم التكوين
واذا كنت ما اقتنيت اثاثا ... فخيالى أبهى الاثاث يريني

دمشق — احمد الصافى النجفى

العلوم

سمك البكلاه

للدكتور احمد زكى

السمكة كالزراعة صناعة من أقدم الصناعات ، بل هى أقدم من الزراعة لان الزراعة صيد . والانسان كان يصيد قبل ان كان زرّاعا ، يصطاد طعامه على الارض وفوق الدوح وكذلك فى الماء . وكانت طريقته فى صيد ما على ظهر الارض وما فى الهواء مَسْكُ ما يُمسك ، وقذف ما يفلت بالحراب مصنوعة من الحجر والخشب ثم من الحديد . ولكن هذه الطرائق التى اساسها القوة لم تغنه فى صيد أحياء البحار إلا قليلا ؛ لان البحر غير الارض ، لم يخلق لحمل الرّجل والحافر ، والانسان لم يؤت زعنفة ولا ذيلا ، وهو ان عام فاصطناعا وتكلفا ، وفوق ذلك فالماء اذا سَمُكَ تعسّر البصر فيه فلا ينفذ الا يسيرا لذلك غيّر الانسان طريقة الهجوم وعمد الى الحيلة ، الى الختل والخديعة ، فعقف ابرة ربطها بل أمسكه بيده ، ثم كسـاها بما يصلح ان يكون طعاما ، ثم فى الماء دلاّها فجاءت السمكة المسكينة تسعى كالناس للرزق فلما وجدته وجدت فيه حتفها . وطمع الانسان فى غلة من البحر كبيرة ، والبحر ابو الخيرات ، كثير الفيوض ، فعمد الى الحبل الطويل يمده بين السفينتين تتدلى منه الحبال الطويلة تحمل الصّنّارات الكثيرة تخفّت تحت ألوان من الطعام شهية لم تبذل عن سخاء . ثم جاء دور الشباك ، ثم امتدت هذه وطالت حتى بلغت قيمها مئات الجنيهات . وجاء البخار فاستُبدلت السفن الشراعية بسفن بخارية ، وارتقت طرق الصيادة واحكمت ، فكثر المصيد وتعددت أنواعه واتسعت تجارته فأثرت الامم وأغنتها

ومن الدول من يعتمد فى اكثر ريعه واتزان ميزانيته على الدخل الذى يأتيها من السّماكة . ولما كانت هذه الدول تصيد الاقل لنفسها ، وتصيد الاكثر الكثير لغيرها من من الأمم البعيدة النائية ، وكان السمك قريب التحلل سريع العطب ، عمدت الى تحليله وتقديره ، فاصبح يختزن منه بنسبة لاتختزن بها اللحوم ، وصار ما يصاد فى القطب يؤهل فى خط الاستواء ، ومن ذلك سمك البكلاه الذى نحن بحديثه اليوم

والبكلاه Bacalao لفظة أسبانية معناها سمك الحوت ، وهو سمك يقطن المناطق الشمالية من البحر الاطلسى ويقطن بحر الشمال والبلطيق ؛ ويوجد كذلك فى شمال المحيط الهادى ، وتتحدد أخص مناطقة بخطىّ عرض ٥٠ و ٧٥ . وهو لا يوجد فى البحر الأبيض المتوسط . ويسكن من البحر أعماقه على مسافات تتراوح فى الأغلب بين العشر قامات والمائة قامة ، ولو أنه غَوْرِىّ (١) فى سكناه وعادته الا أنه اذا آن أوان إنسالهغادر الاعماق الكبيرة ورحل فى قطعان هائلة الى اماكن من البحر يترجّح عمقها بين ٢٠ و٣٠ قامة يكون فيها أقلّ استهدافا للهالك ، فاذا هو بلغها القى بيضه فطفا فى الماء ، ويحدث هذا غالبا فى يناير وفبراير ومارس ، فاذا قمس البيض وتبدّل واستتم خلقه تدرج فى النزول الى الأغوار الأعمق وعندئذ يبدأ يعيش كما عاش آباؤه ، فاذا بلغ من العمر سنة استطال حتى ليبلغ ثمانية من البوصات ، ثم يزداد فى الطول عاما بعد عام ، حتى اذا استتم عامه الرابع أدرك فاستطاع ان يكون أبا او أما ، ويكون طوله عندئذ نحو قدمين ، واذا امتد به الأجل عاش الى أن يطول الى خمسة أقدام والى أن يزن خمسين رطلا

(١) الغور القاع

وتبيض الأنثى من الحوت بيضا يتذبذب عدده بين المليون والعشرة الملايين فى الفصل الواحد تبعا لحجم الأنثى ووزنها. ويبلغ قطر البيضة جزءا من عشرين من البوصة ، وليس كل البيض بفاقس ، فأكثره يذهب طعمة لغادى السمك ورائده ، وكثير منه يهلك فلا يستتم انضاجه بسبب مؤثرات فيزيائية لا طاقة له بها ، وقد عرفت الطبيعة منه ذلك فزادته عدداً لكى يفلت منه المقدار الذى لا بد منه لاضطراد وجوده

وأكثر صيد الانسان للحوت يكون فى فصل انساله ، ذلك لأنه فصل التجمع فالترحل الى سطوح من قيعان البحر أقرب الى يد الانسان . وأشهر هذه السطوح ، اضع ثلاث ، ساحل النرويج ، وجزيرة أسلن Iceland ، وجزيرة نيوفوندلند Newfoundland بكندا ، وهى لذلك أشهر مصايد الحوت . وعداها قيعان ضحلة ببحر الشمال بين بريطانيا والقارة الاوروبية .

أما مصايد النرويج فقد هيأت لها الطبيعة ساحلا متعرجا ، يدخل فيه البحر تارة ويدخل هو فيه تارة أخرى ، وينحدر شاطئه فى الماء انحدارا باغتا كبيرا . وفى قبالة هذا الساحل سلسلة جزائر اللوفوتن Lofoten تستطيل فى حذاء الشاطىء النرويجى وتسير قليلا مع استدارته ، تحنو عليه ، كأنما تحميه من انواء البحر الطلق وأمواجه . وعدا هذا تأتى الشاطىء التيارات المائية الدافئة من خط الاستواء Gulf Stream فتعدل من حرارته فتقل نحوا من عشرين درجة عن حرارة أى نقطة من الكرة الأرضية على خط عرضه . ولهذا لا تتجمد البحار النرويجية فى الشتاء ، فهى تهيء بقيعانها وطيب جوها مُناخا مستطابا لقبائل الحوت تنزح اليه لتؤدى فى كنف الحب واجب الحياة الأول .

أما مصايد جزيرة نيوفوندلند فاوفقها منطقة تتكون من سلسلة جبال علاها الماء نحواً من ثمانين قامة ، فمهما تحت الماء من رمل وطين ، يرحل اليها الحوت فى جماعاته فيجد عندها مسكنا ومستقراً إلى حين . ويزيد فى صلاح هذه المنطقة تياران بحريان يلتقيان هنالك ، يحملان معهما مقادير لا حصر لها من احياء متعضونة صغيرة ومن الفطريات ، غذاء طيب لا للحوت ولكن لاسماك قشرية وأخرى رخوة يعيش الحوت بدوره عليها

كذلك لجزيرة أسلن وللبحر الشمالى ميزات من ضحالة واستتار عن هائجات المحيط تجعل الحوت يقصدها .

وتعود السفن بحمولاتها من الحوت ، فيشق ويغسل باطنه ثم يملّح . وبعد استكمال ملوحته يُجفف إما فى الشمس ان كانت . واما فى حجرات سخّن هواؤها بالفحم ، وذلك الى أن يبلغ درجة من الجفاف معروفة . وقد يجفف بلا تمليح . ثم يصدّر هذا القديد ، وهو المعروف عندنا بالبكلاه ، الى أوربا الجنوبية ومصر والقارة الافريقية . أما كبد الحوت فتعالج بالبخار وهى صيحة قدر بزيتها المشهور . ولحم الحوت أبيض لذيذ الطعم وهو طازج ، سهل الهضم الا أنه قليل التغذية نسبة الى غيره وذلك لقلة دسمه ، حتى كأنما تركز دسمه فى كبده فافتقدته سائر الاعضاء . أما زيته فغذاء طيب كسائر الزيوت ويمتصه الجلد سريعا فيُغذى به الاطفال فى بعض الامراض بدعك بطونهم به . وكشفوا فيه عن فيتمينين من الفيتمينات التى تذوب فى الدهن فطلبه الطب فغلا ثمنه . والزيت النقى له طعم جميل كطعم الزبدة لا رائحة للسمك فيه ، ولكنه سريع العطب بالتأكسد وينشأ عن هذا التأكسد طعمه الكريه ، والزيت يتأكسد ولو احتجب عن الهواء لان به اكسجيناذائبا يكفى لافساد نكهته . والطريقة الحديثة لوقايته من ذلك تتلخص فى تفريغ ما فوق الزيت من هواء كائنا ما كان ، فينبعث منه كل غاز مذاب ، ثم يطلق فى الفراغ الحاصل غاز الكربون فيحل فى الزيت محل الهواء

ويقدر الحوت المصيد فى السنة بما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ مليون حوته ، ثمنها دون الزيت خمسة ملايين من الجنيهات والطازج منه كثير فى انجلترا فقد قصد صيادوها بعد الحرب العالمية الى منافسة الامم فى اصطياده فبرزوا عليهم . والطازج منه رخيص فى انجلترا ، كنا ندفع فى الرطل منه ستة بنسات أو دون ذلك . اما القديد فثمن الرطل منه دون هذا .

العالم المسرحي والسينمائي

الدرامة والحياة

لناقد « الرسالة » الفني

من الجلي الواضح اننا قبل أن نطرق بحثاً كهذا(١) ، علينا أن نتريث برهة نسائل فيها أنفسنا ماذا نعنيه تماما بكلمة «درامة» — أو بمعنى آخر ما هو التعريف الذي نستطيع أن نحد لفن الدرامة اذا ما قورن بالفنون الاخرى كالشعر والتصوير والقصص ؟ من الواضح أن الدرامة فن ، ولكن أي القيود نستطيع بها أن نحدد صفاته الخاصة التي تميزه عن الفنون الأخرى ؟ ولقد يبدو هذا عند النظرة الاولى سهلا ميسورا ومطلبا هينا لا عسر فيه ولا عناء ، ولكن قليلا من التفكير يكشف لنا عن الصعاب التي تواجهنا ، وقد يكون من الخير لنقدر دقة هذا المطلب العسير أن نرجع خطوة أو خطوات الى الوراء فنمر سراعا عاجلين بتلك المحاولات التي بذلها أقطاب هذا الفن في تاريخه الطويل ليجيبوا عن هذا السؤال وليضعوا لفن الدرامة تعريفا واضحا وصريحا .

من أولى النظريات التي وضعت في هذا الصدد ومن أكثرها أذيوعا وانتشارا ، تلك النظرية التي نستطيع أن نسميها نظرية التقليد ، و المحاكاة . ولعل من الخير أن نذكرها في أبسط صورها كما جاءت في أقوال «شيشرون» الخطيب الروماني المعروف «فالدرامة عنده (نسخة للحياة ، مرآة للعادات ، انعكاس للحقيقة) وهذا التعريف ، اذا صح أن نسميه كذلك ، قال به كثير من النقاد المتعاقبين مئات من السنين ، واتخذ أساسا لابحاث فنية لا عد لها ، خصوصا في عصر النهضة «رنيسانس» . بل لقد وجد حتى في العصور الأخيرة أنصارا وأشياعا لانه يتمشى مع اغراض الكتاب الواقعيين «ريالست» في القرن التاسع عشر .

ومن انصار هذه النظرية في تعريف الدرامة زولا الكاتب الفرنسي المعروف وبومارشيه رجل المسرح الشهير . ومن المقدمة التي وضعها الاول لروايته «تيريس راكوين» ومن كتاب الثاني عن الفن المسرحي نستطيع أن نستخلص الكثير من العبارات التي ندلل بها

(١) للاستاذ الرديس نيكولا استاذ آداب اللغة الانجليزية في جامعة لندن بحث مسهب في هذا الموضوع وقد رجعنا اليه في هذه الكلمة

والحوت له المحل الثاني في جدول اسماك العالم الاقتصادية أما المحل الاول فلسمك الرنكة المعروف بالرنجة Herring ، ولا نراه في مصر الا مملحا أو مدخنا .

وقد بدأ القلق يظهر خشية على الحوت والرنكة وغيرهما من الاسماك أن تنفد من المحيطات وذلك لامعان الانسان في اصطيادها ولتحسن العدة التي يستخدمها في ذلك ، فهو بتحسنها يأتي بالمحصول الاكثر لقاء مجهود أقل وزمن أقصر . وهم يحاولون اتقاء هذا باغلاق المصايد أحيانا ، وبانشاء المرابي الصناعية أحيانا أخرى . ويظهر أن الطريقة الأولى هي الوحيدة الناجعة ، إذ لا بد من أن يتباطأ الصيد حتى يتمشى مع سرعة إنسال السمك فلا يصيد الانسان غير المزيد . أما الطريقة الثانية فتقليد للطبيعة عسير ، وقد دلت التجارب على أن تلك المرابي يأتي أكبرها في العام من الخلف بالمقدار الذي يأتيه بضع مئات فقط من الحوت الطليق في المحيط .

ومصر ، مصر الواقعة جنوب البحر الابيض ؛ وغرب البحر الاحمر ، وكلاهما مزرعتان تاهمتان في أمل الثراء ضياع الدلتا والصعيد ، مادخلها مما أحاطها الله من بحاره ؟ لاأدري . انما الذي أدريه أنها في يوم عيدها القومي تأكل سمك البكلاه ، وهو لا ينزوع في بحرها الابيض ، انما يأتي من أصقاع بعيدة نائية

احمد زكي

على أن المثل الاعلى للمسرح عند الاثنين ان يكون « مرآة الحقيقة وصورة مطابقة لمافى الحياة »

فاذا أخذنا بهذا الرأى وبحرفيته قلنا أن الدرامة اقتباس من الحياة . وهذا معناه أن المؤلف المسرحى الحق يجب أن يضع نصب عينيه أن يكتب لنا مشاهد للمسرح تطابق قدر المستطاع مايحدث فى الحياة أو يمكن حدوثه فيها حتى لنجىء هذه المشاهد كالصور وخيالها فى المرآة او كالنسخ المتعددة المتطابقة للشىء الواحد . وتكون محاورات ابطال الرواية الأروع والأجمل اذا كانت تنقل لنا نفس الحديث ، بل الكلمات والالفاظ للحوار الذى يقع بين الأحياء كما ينقله الحاكى دون نقص او زيادة ، ويكون أجمل ما فى الرواية صدقها وأمانتها للحقيقة .

واذا نظرنا الى هذه الآراء فى مجملها قد نغرى بأن نصدق ان ثمة مايمكن ان يقال للدفاع عنها أو تأييدها ، ولكن لو فكرنا قليلا لتبين لنا زيفها وخطؤها . وبغض النظر عما إذا كان فى مقدور المرء ان يعتبر أن المؤلف المسرحى ليس اكثر من حاكى يسجل ما يسمع وينقله حرفيا الى المسرح ، فانه من السهل ان نتبين ان ان هذا المثل الاعلى للدرامة مستحيل لان الرواية المسرحية لايمكن ان تكون صورة مطابقة تمام المطابقة للحياة . وحتى اذا فرضنا ان ان المؤلف فى أحد مشاهد روايته نقل نفس الالفاظ التى تحدث بها فعلا الاشخاص الذين اتخذهم كنماذج لأبطاله ، فان الحقيقة الواقعة من ان هذا المشهد فصل عما سبقه أو تلاه من المشاهد الاخرى تجعله شيئا صناعيا محضا ، أو بمعنى آخر تكسبه الصبغة الفنية . واذا لم يستعين المؤلف بالآلات الميكانيكية المسجلة للأصوات ، فانه لا يستطيع ان يطمع فى نقل الحوار الذى دار فى الحياة الحقة بألفاظه وحروفه وتفصيلاته نقلا دقيقا غاية الدقة لاتحريف فيه . فاذا كان المؤلف هو الذى خلق المشهد وخلق أبطاله ، كما يحدث على الاغلب ، لكان من السخف ان نتخيل ان هذا المشهد لو انه حدث حقا فى الحياة ، لتحدث هؤلاء الابطال ، لو انهم أحياء من لحم ودم ، بنفس هذه الكلمات ، ولدار بينهم هذا الحوار دون زيادة أو نقص . فمطابقة الحياة فى الدرامة شىء مستحيل ومطلب عسير فاليا لزم الحق لاوجود له ، ثم هو بعد ذلك ليس من عمل الفنان ، لانه ليس من الفن . ولم يكن فى يوم من الأيام مطمح كبار الكتاب الخالدين بآثارهم المعروفة ، ولا المثل الاعلى الذى حاولوا تحقيقه بأعمالهم وكتاباتهم ونحن اذا أخذنا بهذه النظرية فى معناها الحرفى وحدودها الضيقة طرحنا من مكتبة الفن احسن مافيها من اعمال رجال الادب والمسرح وألقينا بمخلفات أشيل وارستفان وشاكسبير وموليير وأندادهم طعمة للنار .

فاذا أردنا أن نتحرر من هذا الحرج وأن نأخذ هذه النظرية ، نظرية التقليد أو المحاكاة ، بمعنى أوسع وأرحب ، كان لنا أن نعود إلى ارسطاطاليس الذى جعل أساس آرائه أن الفن فى مجمله ينطوى على عنصر التقليد ، وأظن أننا فى غنى أن ندخل فى بحث مستفيض فى هذا الصدد وحسبنا أن نقول أن أرسطاطاليس قد ذكر أن التقليد هو أصدق تمثيل للحقيقة إلا فى النادر القليل .

ومن المعروف ان النصوص التى وجدت ونسبت الى الفيلسوف اليونانى القديم والتى يتحدث فيها عن فن التراجيديا والشعر القصصى اتخذت مرجعا لرجال الفن ونقاده فى شتى العصور وكانت لها مكانة القداسة فى عصر النهضة وأطال مناقشتها وبحثها كثير من النقاد فى العصر الحديث . ومن الخير ان نلم بهذا كله قدر المستطاع وهو ماسنحاوله فى القريب العاجل ان شاء الله

ونعود الى بحثنا لنكرر ما قلناه فى اسطر سلفت من أن نظرية التقليد وجدت فى العصور الحديثة مشايعين وانصارا ولكن فى معناها الشامل الرحب ، وهناك فيكتور هوجو الذى قال فى المقدمة التى وضعها لرواية كرمويل « لقد قيل إن الدرامة مرآة تنعكس فيها الطبيعة . ولكن اذا كانت هذه المرآة عادية ، مسطحة لامعة ، فانها لا تقدم لنا إلا صورة ضئيلة للأشياء التى تعكسها دون أن تبرزها ، صورة صادقة ولكن لا روح فيها ، ومن المعروف أن اللون والضوء ينعدمان فى الانعكاس البسيط . فالدرامة على ذلك يجب أن تكون مرآة تتركز فيها المرئيات ، وبدلا من أن تضعفها تجمع الأشعة وتكثفها وتطق عليها قوة التركيز فتجعل من القبس شعاعا ، ومن الشعاع لهيبا وهاجا ، وبهذا وحده تستحق الدرامة أن تكون فنا له خطره وقيمته »

وهذه العبارة فى وضوحها وقوتها لها أهميتها الكبرى فيما نحن بصدده ، وتتمشى معها كلمة سارسيه من أكبر نقاد المسرح الفرنسى إذ يقول إن الطبيعة المجردة على المسرح لا تثير اهتمام الجمهور بل تبدو له فضلا عن ذلك مزيفة كاذبة . ويضيف فى رأيى أن الحقيقة اذا أظهرت على المسرح بصدق وأمانة بدت مزيفة للجمع الحاشد

الحركة المسرحية والسينمائية فى العالم

نيويورك

نعت أنباء امريكا أخيرا هوراس ليفريت من اكبر الناشرين المعروفين فى الولايات المتحدة وهو صاحب الفضل الاكبر فى أظهار أوجين أونيل الكاتب الامريكى الشهير فقد كان اول ناشر قبل أن يطبع كتاباله فى مستهل حياته الادبية ونجح الكتاب أكبر نجاح مما ساعد أونيل على الاستمرار حتى وصل الى شهرته التى يتمتع بها اليوم . وكان من رأى هذا الناشر ان الكتب الاولى للمؤلفين الشبان المبتدئين يجب ان تعطى فرصة طيبة للظهور تشجيعا لهم. وربما كان وراء هذا الشاب الحدث عبقرى نابغ .وكان هذا الناشر يحارب الرقابة الادبية التى تفرضها الحكومات على الكتب والروايات بكل ما يملك من نفوذ ومال .واشتهر هذا الناشر أيضا كمخرج مسرحى ومن أشهر اعماله فى هذه الناحية أخرجه فى سنة ١٩٢٥ على أحد مسارح نيويورك الشهيرة رواية « هاملت » بملابس عصرية .

ونذكر بهذه المناسبة أن اوجين انتهى من رواية جديدة دعاها « الوحدة » وستمثل فى الموسم القادم على مسرح « جلد » بنيويورك

لندره

عقد فى لندن من أمد قريب الاجتماع السنوى « لجمعية الدرامة الانجليزية » وهى جمعية من اغراضها نشر الدعاية للفن والمسرح فى جميع أنحاء انجلترا ، فى مدنها وقراها وأطرافها النائية ، وكثير من الكتاب الانجليز المعروفين بدأت شهرتهم بين أحضان هذه الجمعية وظهرت اعمالهم الاولى على مسارحها . وقد القى مستر برنادشو خطابا قيما فى هذا الاجتماع عن « الهواية والاحتراف » نرجو ان نقدمه لقراء « الرسالة » فى عدد قادم .

— مس مينى رينر من أشهر ممثلات المسرح الانجليزى المشهود لهن بالكفاية والمقدرة ويبلغ عمرها اليوم ٦٤ عاما وقد التحقت بالمسرح وهى فى سن الحادية عشر ولم تنقطع عن العمل خلال هذه المدة الطويلة . وفى أحدى حفلات الاسبوع الماضى أعلنت - بمناسبة عيد ميلادها - انها اشتركت فى ١٠٫٠٠٠ حفلة مسرحية وهو رقم قياسى جديد فى عالم الفن يعد الاول من نوعه

روما

سيتولى بيترو ماسكانى الموسيقار الايطالى المعروف رئاسة مسرح الاوبرا الملكية فى روما . والمعروف عن هذا الموسيقار انه يكره التقيد بالمناصب الثابتة ولكنه رضى أخيرا بهذا المركز بعد ان الح عليه شخصيا السنيور موسوليني . وستظهر على مسرح هذه الاوبرا اربع اوبرات جديدة فى الموسم القادم أولها « نيرون » لماسكانى نفسه وبعدها « الشعلة » الأوبرا الجديدة لرسيبى ، ثم « سيسليا » للوسيان رفيس ، والرابعة أوبرا جديدة لمؤلف حديث لم نجد اسمه فى برنامج الاوبرا الرسمى ، واذا أتم ماليبيرو الموسيقار المغروف البالية الذى يضعه والذى اقتبسه من احد كتب بيراندللو فسيكون القطعة الخامسة التى ستعرض على مسرح الأوبرا . وفى حديث لماسكانى مع احد الصحفيين صرح أنه يعتزم ان يجعل من روما عاصمة العالم الموسيقى وقطب الرحى فيه .

من المتفرجين . أننا نعد فن الدرامة الخلاصة التى بها تمثل الحياة على المسرح ونعطى الجمهور عن طريقها خيال الحق » .

— وقد لمس بعض النقاد فى عصور متقدمة هذه الحقيقة ولكن فى صورة غامضة مبهمة وذكرها هيدلين الناقد الكبير فى قوله « إن المسرح لا يمثل الأشياء كما هى ، بل كما يجب أن تكون » وشيه بهذا ما يقول جوته « إن من يعمل للمسرح عليه أن يدرسه ، ويتفهمه حق الفهم ، وأن يلم بتأثير المناظر المسرحية والاضاءة والالوان من نواحيها المختلفة ، وليترك الطبيعة فى مكانها اللائق بها »

وما نستطيع ان نلخص هذه النظرية باصدق وأوجز مما لخصها به احد كبار النقاد الذين يعتد بهم حيث قال : إن الدرامة ليست نسخة من الطبيعة ولكنها تقليد ومحاكاة لها ، واذا رجعنا الى الآراء التى مررنا بها فى هذا المقال لماما وجدنا ان أجداها واثراها ذلك الذى يتحدث عن الدرامة كمرآة مركزة تجعل من القبس شعاعا ومن الشعاع نورا وهاجا . وإنا لنلمس صدق هذا التحليل اذا ما درسنا الاعمال الفنية الخالدة ، لأن الكاتب الموهوب ، عندما يقتبس لمحة من الطبيعة ، لا يقنع بعرضها مجردة من الروح والحياة ، بل يسبغ عليها من روحى فنه وعبقريته مايسمو بها الى رقة الخلود ويجعل منها مشاهد قوية مثيرة تلهب الحواس والشعور وتصبغ العمل ذاته بالصبغة الفنية الحقة . وهذه احدى خصائص الفنان الحق

القصص

الورود الحمراء

كوميدية عصرية فى فصل واحد

لجاستون سوربيه والبريك كاهويه .

ترجمة فتوح نشاطى

« صالون على الطراز الحديث . . نافذة عند صدر المنظر ويلوح على كل من جانبي النوح . . . بعض صور عائلية وأسلحة تاريخية تزين جدران الحجرة . فى مكتب صغير تتألق باقة من الورود الحمراء داخل آنية شفافة . . عند رفع الستار يرى جاستون جالسا على ديوان وفى يده مطرف الرأس ، حزينا وقد تناهبه هموم مبرحة . . بعد قليل يتصبب فجأة ويتجه نحو النافذة . . . يمر فى طريقه بالورود الحمراء فيقف مترددا . . يرنو اليها ثم يشق فى وقت عبيرها العاطر ويمضى الى النافذة فيلقى منها نظرة سريعة وجلة يعود بعدها الى باقة الورود يتأملها ، مشتت الفكر . وما يلبث طويلا حتى يقترب ثانية من النافذة ويظل يتردد هكذا بين الورود والنافذة الى أن يشمه الانتظار فيحاول استعمال سيجارة لكنه يخفق فيرمى بها الى الارض ، حانقا ، يضغط على زر الجرس فيدخل الخادم فرنسيس)

المشهد الأول

جاستون — فرنسيس

فرنسيس — سيدى . . ؟

جاستون — ألم يجىء أحد ؟

فرنسيس — كلا ياسيدى .

جاستون — وبريد الساعة الرابعة ؟

فرنسيس — لم نصل بعد

جاستون — (مشعلا سيجارة) والمسيو شنسيريل ؟

فرنسيس — لو أنه جاء . . .

جاستون — (مقاطعاً وقد فهم) حسنا . . . (يلقى فى حركة آلية بسيجارته الى الارض) ألم ترد برقية ؟

فرنسيس — لا ياسيدى

جاستون — والتليفون ؟

فرنسيس — لو أن أحداً سأل عن سيدى بالتليفون لسمع سيدى رنين الجرس . .

جاستون — فى الواقع ... (وهو يشير حواليه ، ضجراً) أعد بعض النظام الى الحجرة

« ويحاول جاستون من جديد اشعال سيجارته فى عصبية مضطردة بينما يرتب فرنسيس فى صمت الاوراق المبعثرة المتراكمة على المكتب . عندما ينتهى الخادم من عمله يقترب من باقة الورود فيجمع اوراقها الذابلة المتناثرة على ارض الغرفة وحوالى الآنية الشفافة واذ يحاول للمضى بها . »

جاستون — ماذا تصنع ؟

فرنسيس — (على أهبة الخروج) أمضى بهذه الورود . .

جاستون — (مستوقفا اياه) لماذا ؟

فرنسيس — لانها ... بدأت تذبل

جاستون — لكنك تعلم جيداً انى لن استبدل بها غيرها ، بعد اليوم

فرنسيس — طبعاً لا . . بما ان سيدى . .

جاستون — (موقفاً سيل التوضيحات) اذن ؟ (يعيد فرنسيس الورود الى مكانها الاول)

جاستون — (مرهفاً سمعه فجاة) ألم يقرع الجرس ؟

فرنسيس — ماأظن ياسيدى (يعود جاستون الى النافذة . هنا يدوى رنين الجرس)

جاستون (مرتعشاً) أما قلت لك ؟

فرنسيس — (مبهوتا) رن الجرس الآن فقط

جاستون — حسناً . . اذهب وافتح (يخرج فرنسيس ويعود فى الحال مصطحباً شنسيريل)

المشهد الثاني

جاستون — شنسيريل

جاستون — آه ! ياصديقى ، كاد ينفد صبرى فى انتظارك !..

شنسيريل — يبدو عليك فى الواقع سيما الاضطراب الشديد

جاستون — اقابلت جانين؟

شنسيريل — نعم . ولو انها لم تتوجه اليوم الى محل عملها

جاستون — و . . كيف وجدتها ؟

شنسيريل — حزينة جداً

جاستون — يالصغيرة المسكينة !

شنسيريل — (مشملا سيجارة) كلفتني عملا شاقا ياصاحبي ! صدقني لن أحمل نفسي بعد اليوم عناء استطاق الفتيات التعيسات اللائي هجرهن عشاقهن .... ساعة القطيعة .. ! النهاية ...

جاستون — بعجل، قص على ماحدث

شنسيريل ـ لم أمكث بجوارها أكثر من لحظة . لكن .. يالها من لحظة مشئومة !

جاستون ـ نعم ، أقدر حالتها النفسية ... كانت واجمة دون شك من هول الخبر ، مضعضعة الحواس ، يائسة .. ! الواجب كان يحتم عليك ان تشجعها ، أن تهون عليها ... لكنك فضلت التكوص على عقبيك

شنسيريل ـ تسمح لي بالجلوس ؟

جاستون ـ إن شئت ... لكن حدثني ... أوضح لي .. هل انتزع منك الكلمات انتزاعاً ؟ ماذا قالت لك ؟

شنسيريل ـ لاشيء في البدء . شاءت الحديث، لكنها لم تستطع .. شبهت على أولئك الاصدقاء الذين تواجههم بعد كارثة ألمت بهم .. تراهم صامتين ، فتحسبهم متماسكين صابرين .. تمد لهم يد العزاء .. فاذا بهم يجهشون بالبكاء .. ذكرت لها أني حضرت أتسقط أخبارها .. فاستفسرت عما اذا كنت قد جئت من قبلك ...

جاستون ـ وأجبتها ؟ ..

شنسيريل ـ إجابة غامضة ..

جاستون ـ عندئذ ؟

شنسيريل ـ شاهدت وجهها الصغير المعتم تتناهبه سمات التفكير والألم والعزم .. ثم قامت تخطت لك هذا الخطاب

جاستون ـ (يتناول الخطاب في لهفة وقد بدا عليه التأثر لكنه يقلبه بين يديه دون أن يجسر على فضه)

شنسيريل ـ ياصديقي لو تسمح لي نصحتك بارجاء قراءة هذا الخطاب الى غداة يوم زواجك (يجفل جاستون) لانك صممت على الزواج

جاستون ـ بالتأكيد . بما اني قطعت كل علاقة لي بعشيقتي السابقة مع ذلك لكم أحبتها جانين ! .. لقد كانت نعم الصديقة الحنون ، النموذج الكامل لشريكة الحياة القانعة المحبة . الودود ..

شنسيريل (في ابتسامة) التي تغنى بمحاسنها شعراء الشباب والربيع !

جاستون ـ نعم ياعزيزي روجيه ، عشنا معاً قبل الحرب سنتين مترعتين باجمل ذكريات حياتي ! ..

شنسيريل ـ (اخراً) أحمد الله على انك الوحيد الذي يخرج من دنيا الغرام بذكريات سعيدة !

جاستون ـ غير أن هذه العاطفة الوهاجة .. لم تكن لتدوم الى الابد .. جانين التي تعرف دقة مركزي لم تكن لتجهل ان علاقتنا لابد آيلة الى تلك النهاية المنطقية : الزواج . نعم الزواج الذي كان قد بات حتما علي، وقد أصبحت مضطراً أن أهجر مسكني هذا لأتجه الى برج العائلة ، هناك في مقاطعة بريتانيا أعيش من أرضي دون اسراف . كان ذلك منذ ثلاث سنين .. اذ كنت أعتزم البعد عن باريس وعن جانين بالطبع ، عندما وقعت الكارثة

شنسيريل ـ اية كارثة ؟

جاستون ـ الحرب الكبرى !

شنسيريل ـ آه ! عفواً ! كدت انسى اننا نصلاها ! بالاختصار ؟

جاستون ـ بالاختصار رغما عن رتبة الضابط التي وصلت اليها وتياشين الشرف الحربية التي أحلها وجراحي الباهرة التي حصدتها في المعارك لم يكن مركزي المادي قد تحسن عندما .. ساق الى القدر العطوف..

شنسيريل ـ اللؤلؤة النادرة ... داخل علبتها الذهبية !

جاستون ـ لا تمزح ... فالمدموازيل دي شالين فتاة نبيلة جديرة بكل اخلاص ومحبة وأقر اني أحببتها في الحال تقريبا ...

شنسيريل ـ بهذه السرعة ؟

جاستون ـ نعم في الحال ... أحببتها ... لا كما أحببت جانين التي عبدتها عبادة ... بل كما أتصور أن يحب الانسان المرأة التي اصطفاها ليجعل منها رفيقة العمر ، الشريكة التي يعقد وإياها ضد الحياة وللأبد معاهدة هجومية دفاعية ... فهذا الحب يختلف عن الآخر كل الاختلاف ... ربما كان أقل مرحا وظرفا وتوثبا ... لكنه أثبت وأعمق وأبقى !

شنسيريل ـ يا للجحود !

جاستون ـ تخطئ يا صاحبي ! لم أنس شيئا . صورة جانين ما زالت مطبوعة في خاطري ، وما زلت أشعر نحوها ... بعطف ممزوج بعرفان الجميل وانى لمصمم على رعايتها وتهوين مصاعب حياتها المعيشية ..

شنسيريل ـ (ساخراً) لا شك أنها تعتمد عليك فى ذلك كل الاعتماد !

جاستون ـ أؤكد لك انى معذب لعذابها ! حاولت كثيراً تخفيف وقع الخبر عليها وتوطين قلبها لتلقى هذه الصدمة القاسية فلم أقطع صلتى بها الا عند ما أصبح الامر محتما . . . البارحة فقط بعد بضع ساعات من تبادلنا خاتم الخطوبة أنا ومرجريت . . . عندها وجدتنى مضطراً أن أصارح جانين بحقيقة موقفى وأن أقطع كل علاقة لى بها خصوصا وقد كاشفنى خطيبتى البارحة برغبتها الملحة فى أن ترانى داخل اطار مسكنى . . عش العزوبة كما تسميه مداعبة . فتصورها ياصديق وقد جاءتنى صحبة مربيتها واتفق وجود . . . الاخرى ! اية مأساة !

شنسيريل ـ فعلا !

جاستون ـ تلقاء هذه الزيارة المهددة لم أتمالك من أن أبوح لجانين بكل شىء ! هكذا ودعنا بعضنا وداعا مؤثراً أظهرت خلاله رباطة جأش نادرة ، حتى لقد استفهمت منى عما اذا كانت خطيبتى شقراء . . .

شنسيريل ـ (منشككا) سيجارة ؟

جاستون ـ (رافضاً) شكراً (يفض خطاب جانين الذى كان بقلبه بعصبية بين يديه حتى هذه اللحظة)

شنسيريل ـ أما زلت مصراً على قراءة هذا الخطاب ؟

المشهد الثالث

فرنسيس ـ (فريسة اضطراب شديد) سيدى !

جاستون ـ ما ذا تريد ؟

فرنسيس ـ جاءت مدموازيل دى شالينى . . . مع مربيتها . . .

جاستون (الى شنسيريل) وقع ما كنت أخشاه ! (الى فرنسيس) أدخلهما (بعد خروج الخادم) لا مفر من استقبالها !

المشهد الرابع

جاستون ـ شنسيريل ـ مرجريت

جاستون ـ أنت مرجريت ؟ (يقبل يدها)

مرجريت ـ (مبتهجة) نعم أنا . . . تذكر ! اخطرتك انى سوف أزورك صحبة مربيتى . . . (تلمح شنسيريل) اوه ! صباح الخير يا سيدى !

جاستون ـ (مقدما) أعز أصدقائى ، زوجته شنسيريل ، خطيبتى ، مدموازيل دى شالينى

مرجريت ـ (فى ظرف) نأمل أن تحظى برؤيتك قريباً فى قصرنا يا مسيو شنسيريل . على شريطة ألا تبوح برؤيتك إياى هنا (تضحك) لانى أجد زيارتى هذه ولو بصحبة مربيتى الانكليزية بعيدة عن كل لياقة .

شنسيريل ـ ثقى مدموازيل بتكتمى التام (منسحبا) ياصديقى العزيز . . .

جاستون ـ (متضايقاً) تنسحب ؟

مرجريت ـ (لشنسيريل) بل ابق يا سيدى لن أطيل المكوث . . . مربيتى انسانة ظريفة لكنها عصبية المزاج وأراهن أن معين صبرها قد فرغ . . .

جاستون ـ ما أظرف الخاطرة التى دفعت بك الى هذه المفاجأة السارة . . . (يختلس نظرة قلقة الى الساعة)

مرجريت ـ نعم الخاطرة التى جعلتنى . . . أخاطر بسمعتى لأراك . . . بل نعم . . . لا تعترض . زيارتى اليوم شاذة ولا يبعد أن تثير تهولات عديدة . غير أن روح المخاطرة تغلبت على العقل وتركتنى عزلاء عن مقاومة رغبتى الحادة فى رؤية خطيبى داخل مسكنه الخاص وسط الاشياء التى اعتادها فى ساعة من ساعات حياته اليومية . . لكن . . . ما حل بك ؟ أراك مأخوذاً مشرد الفكر . . حتى لقد سهوت عن تقديم مقعد لجلوسى . . .

جاستون ـ أرجو العفو يا مرجريت . . .

مرجريت ـ على أنى فى غير حاجة الى مقعدك . فليس أمامى من الوقت متسع . . . أولى لك أن تضع جانبا هذه الورقة التى تجعدها أصابعك وتقف على خاطرك الحائر . . (يخفل جاستون لقولها ، يتردد لحظة ثم يخفى الخطاب فى جيبه . تلقى مرجريت نظرة جائلة حواليها) ما أبدع مجموعة السلاح التى تملكها ! (تجلس فى خفة على ذراع مقعد)

جاستون ـ هذه اسلحة اسرتى يامرجريت

مرجريت ـ (فى اهتمام) وترجع تاريخها الى أى العهود ؟

جاستون ـ الى عهود مختلفة ، فهذا الحسام الثقيل . قاتل فى سبيل الملك لويس الثالث عشر وقضى فى مبارزة على احد أعوان الكردينال الاحمر : ريشيليو ، فتسبب موته فى ترحيل جدى الاكبر الى غيابة الباستيل ، أما هذا الرمح فقد كان فى معركة ريتان ليحمى زمار

الملك الشمس ويبقى على العرش بمجد ذريته . وقد وجد بعد المعركة على ما يظهر بجوار جثة صاحبه !

مرجريت ـ يروقني ان اضم الى صدرى هذه الذخيرة المقدسة !

جاستون ـ اما هذا السيف الرقيق الناعم ، سيف البلاط المزركش فلكم تخطر على ساق صاحبه وسط حفلات الملكة غير المتوجة مدام لابومبادور فى رحبات القصر الملكى ! (لا يتمالك نفسه عن اختلاس نظرة عجلى الى الساعة)

مرجريت ـ والاسلحة الاخرى ؟

جاستون ـ هذا الصارم البتار فاضل تحت امرة القائد روشامبو فى سبيل استقلال الاميركيين ، ثم دافع عن الملك لويس السادس عشر ، لكنه رفض المهاجرة الى خارج فرنسا وقاد الصفوف فى معركة وانرلو . اما هذا الرمح الدقيق الصنع فقد قاتل أبهر قتال فى حروب أفريقيا

مرجريت ـ (أثناء الحوار الاخير تقدمت من المكتب ، وعبثت ببعض ماعليه من الكتب . تلمح الورود الحمراء فتحنى عليها) يالله الازهار الجميلة !

جاستون ـ (جافلا) مرجريت !

مرجريت ـ (تهم بقطف وردة) تسمح ؟ (يشير جاستون بالنفى) لا ؟

جاستون ـ لا

مرجريت ـ لمه ؟

جاستون ـ (بالغ التأثر) لان هذه الزهور . . . قاربت الذبول ولم تعد تصلح للزينة . . .

مرجريت ـ ليكن . أتخلى لك عن زهورك ، لكن . . . ماالذى دهاك فجأة ؟ أأكون قد أغضبتك ، عفو الخاطر ؟

جاستون ـ مرجريت . . لاتعتقدى . . .

مرجريت ـ كأنى بك ملت روئيتى ! أأكون متطفلة ؟ (ينظر جاستون الى الساعة) والبرهان انك تتلمس الساعة النظر . . . (فى حزن) لقد أخطأت فى مجيئى ، أعذرونى ايها السادة . سألحق بمربيتى (تخرج)

المشهد الخامس

جاستون ـ (يتنفس الصعداء) اوف ! هذا الخطاب كان يلهب أصابعى !

شنيريل ـ لاتتردد إذن . . . وأقرأه (يقرأ جاستون الخطاب واضطرابه يزداد فقرة بعد فقرة ثم يناوله لصديقه)

شنيريل ـ (بعد قراءته) فهمت الآن سبب اضطرابك ! ياللخبولة ! تريد ان تراك للمرة الاخيرة ، واذا لم تلح الساعة الخامسة الاشارة المعتادة ، هذه الباقة من الورود الحمراء التى اعتدت ان تضعها عند هذه النافذة ايام كنت تنتظرها . . .

جاستون ـ سوف تطيع وساوس الياس !

شنيريل ـ وعلام عولت ؟

جاستون ـ لو انك مكانى ما الذى كنت تفعل ، انت ؟

شنيريل ـ انا لاأومن بالانتحار العاطفى على أنى لو خيرت بين أهون الشرين لفضلت ان استقبلها . . .

جاستون ـ أخشى ان تكون هذه المواجهة مشئومة العاقبة . لاأذكر لنا وأنا وجانين ، اساءة تبادلناها طوال مدة علاقتنا ولا يحضرنى أنى أبكيتها يوما . فاذا شاء القدر أن يرينيها تالمها بين سمعى وبصرى . . فما يدريني اذا ظللت وقتها متمالكا نفسى ؟ . . .

شنيريل ـ إذاً لا تستقبلها

جاستون ـ وان كانت قد صممت حقيقة على الانتحار . . .

(فزعا) أوه ! عندها يلازمنى تقريع ضميرى مدى الحياة !

شنيريل ـ إذاً استقبلها وعجل فالوقت يمر (يخف جاستون الى باقة الورود لكن ما إن يتناولها حتى يسمع نقرا خفيفا على الباب ثم تدخل مرجريت فجأة متبوعة بفرنسيس)

المشهد السادس

مرجريت ـ معذرة أيها السادة أرجوكم . . . نسيت قفازى ! يالى من طائشة ! يا عزيزى جاستون أخشى أن تكون فى نفسك فكرة سيئة عن امرأتك المقبلة ! (تنظر يمنة ويسرة وفجأة وقد وجدت ما تبحث عنه) ها هو ! (تلاحظ مظهر القلق البادى على جاستون) أوه ! جاستون ـ ما بك ؟ أراك تخفى عنى شجنا ما .

شنيريل ـ هذه المرة انسحب . تسمحين يا آنسة ؟

مرجريت ـ تفضل يا سيدى

جاستون (لشانيريل وقد لوشك على الخروج) ايها الخائن اتتخلى عنى وانا فى أشد المواقف حاجة اليك ؟

شنيريل ـ ياصديقى سوف أعود (يخرج)

مرجريت — والآن .. حدثني لا تفكر . اراك في حالة اضطراب شديد ومن غير المعقول ان يكون وجودي هو الذي يصعب عليك الى هذا الحد

جاستون — اوه !

مرجريت — (ملحة) خبرني . اني أكاد اكون زوجك . ان كنت تعاني ألماً أو تقوم في نفسك رهبة مرتقبة فلي الحق ان اطالبك بنصيبي

جاستون (متأثرا) مرجريت !

مرجريت — يخيل لي ان شيئا تبدل في عينيك وفي قلبك

جاستون — فضلت أنك لم تجيئني اليوم !

مرجريت — اذا لأدعك لنفسك

جاستون (في لهفة) تحسنين صنعاً

مرجريت — الا تقتضيني اكثر من ذلك، لتستعيد صفاء نفسك لا تكذبني الحقيقة . جاستون . عهدي بك أجهر صراحة واخلص نية . (لا يجيب) صدقني . تشرف حبنا لو انك تفضي الى بما يعذب قلبك

جاستون — انت على حق .. لكن يساورني وسواس أسود اذ أعتزم ان افتح بين يديك مغاليق روحي الحائر . مع ذلك اقسم لك اني ما تصورت يوما موقفا مثل هذا ممكنا وان تزاحم الظروف او تتري . . . دافعة بي الى موقف التردد بين واجبين

مرجريت — واجبين ؟ ماذا تعني ياصديقي ؟

جاستون — لا تحمليني على أكثر مما قلت

مرجريت — قلت أكثر مما يجب كي لا تتم . . . ان القلق الذي يساورك خف الى قلبي وليس من مصلحة مستقبلنا أن تدعني أتخبط فيه . تكلم !

جاستون — (بعد أن يلقي نظرة محمومة الى الساعة يخرج من جيبه الخطاب ويدفعه اليها بعد تردد قصير) اذن ، اقرأي ! . .

مرجريت — (تقرأ مرتعشة وقد تهالك جاستون على مقعد ثم تقول في صوت أبح) هذا هو السر !

جاستون — (متأثرا) عفواً (تكاد مرجريت تهوي اعياء فيحاول ان يسندها) مرجريت

مرجريت — (تدفعه عنها في رفق) لم يعنني أذى . . أرجو العفو . . . لكني احس ألما ممضاً . . .

جاستون — ! مرجريت أخطأت اذ بحت لك . . .

مرجريت — (مقاطعة) بالمرة ، جاستون . لي سؤال واحد: هذه الانسانة ، مدموازيل . . . (تعود الى الخطاب) جانين هل هي جديرة حقا بال . . . بالاهتمام الذي حملته لها مدى عامين ؟

جاستون — نعم يامرجريت

مرجريت — آه ! (تندفع الى باقة الورد وتضعها على منضدة امام النافذة .)

جاستون — (في لهفة) ماذا تصنعين ؟

مرجريت — اعطي الاشارة

جاستون — كيف ؟ تجيزين لي استقبالها ؟

مرجريت — أنت ؟ لا . . بل استقبلها انا

جاستون — انت ؟ لكن هذا محال . .

مرجريت — لم ؟ أتخشى على حياتي ؟

جاستون — كلا ، اخاف عليك مما ينتظرك من عميق التاثرات . .

مرجريت — أعنف التأثرات شعرت بها وانا اقرأ هذا . . (تشير الى الخطاب) والآن دعني أعمل ما يترامى لي

جاستون — لكن . .

مرجريت — لا تعاند (يسمع رنين الجرس ويدخل فرنسيس على الأثر) أدخل السيدة ، فرنسيس (يدهش الخادم لكنه ينحني ويختفي) ان مقاديرنا الساعة في كفتي ميزان . صدقني جاستون . يجب أن أواجه الآن هذه الفتاة . . أحس حاجة ملحة في أن استوضح أشياء . . دعنا أرجوك، سوف أدعوك في الوقت المناسب

جاستون — (يحاول اقناعها وهي تقوده الى الباب) مرجريت . . لا احتمل أن أتصورك أنت خطيبتي .. زوجتي ..

مرجريت — خطيبتك نعم ! .. اما زوجتك ، فلم أصرها بعد . ينسحب جاستون منهزماً (تبقى مرجريت وحيدة فريسة اضطراب بالغ وقد لفت وجهها تجاه الباب متكئة بيد الى المكتب)

المشهد السابع

مرجريت — جانين

جانين — (تدخل مندفعة) آه ! عفواً . مدام . . أبحث عن جاستون . (مستدركة) لكن . . . من أنت ؟ آه ! . . . حزرت من تكونين ! . . . ووجدت من نفسك الشجاعة على اقتحام باب عشيق ؟ ! (تندفع نحو الباب فتهزه في عنف جنوني)

مرجريت — (صارخة) ابق ! . . (تلتفت جانين اليها ، دهشة فتقول لها فى لهجة أرق) أتوسل اليك ! . . .

جانين ـ (دهشة) تتوسلين الى ؟

مرجريت ـ نعم ، ان دعى الحال . . . لا ستبقيك .

جانين ـ والداعى ؟

مرجريت ـ لا أعلم اذا كان الخطاب الذى وجهته الى . . . المسيو دى كيرولون . .

جانين ـ (ثائرة) واطلعك عليه ؟ . . .

مرجريت ـ لم يطلعنى عليه بدافع عاطفة الزهو التى تتصورين .

جانين ـ قبل أن نخوض غمار هذا الحديث الشاذ ، خبرينى .. ماذا تصنعين فى هذا البيت ، أنت يامن ليس مكانك هنا ؟

مرجريت ـ أتعرفيننى ؟

جانين ـ حدثتنى عنك بما فيه الكفاية !

مرجريت — الى هذا الحد ؟

جانين — لقد تابعت خيالك الممقوت فى نظراته الشاردة ، فى فترات صمته الحالم بل وفى كل همسة وحركة ....آه الكم عذب قلبى وأضناه (تلتفت حواليها) لهذا السبب بات الآن يخشى مقابلتى ؟

مرجريت — تخطئين ، مدموازيل . . لك ان تقابليه ان رغبت... على انى شئت قبلها ان أحادثك وبما ان الصدف الاليمة تسوق بين يدى هذه الفرصة السانحة

جانين — لا أطمع فى شفقتك ، مدموازيل !

مرجريت — وانا لا أسمح لنفسى بها . . ولكن الا يمكننى ان أحاول تهوين وقع ...

جانين — مصابى ؟ وكيف ؟ أتعشم أن لا يكون ذلك بتقديم .. ما فى مكنة الوارثات السريات أمثالك ان تقدميه من مال ... ما أهون الثمن !

مرجريت ـ أسفاه

جانين ـ لا تشكى ، فلولا مهرك لما فزت بالزواج من جاستون

مرجريت ـ هل ألقى جاستون فى روعك انه يقترن بى طمعا فى ثروتى ؟

جانين ـ (هازة كتفيها) لو أنه صارحنى بذلك لما صدقته . .

مرجريت ـ إذن ؟ . . آه ! . . فهمت ما يجول بخاطرك وهو اسمى مما نطقت به ؛ تتصورين ان مالى سيساعد بلاوستول فى جهوده المقبلة ، لكنك تتناسين ، انه فى مقابل ذلك يحمل إلى كنزاً لا يقوم بثمن من التقاليد المجيدة والافكار المبتكرة التى تفوق فى قيمتها جميع أموال العالمين . واتفقت معى من برهة على أن جاستون يشعر نحوى ببعض العطف وأنا ، من جهتى . . لا لا . عفواً :

جانين ـ . . . أنت تحبينه ، حزرت ذلك

مرجريت ـ إذن . . ألا تجدين ارتباطنا طبيعيا ؟

جانين ـ لو انى أملك ثروتك لفكرت مثلك ، على أنك محقة فى النهاية ، خذى إذن جاستون . أمضى به وثق انه أسعد منك حظا : سوف تكونين ملكا له بكليتك . اما هو فلن يناله منه أكثر مما تركت لك من فضلات . .

مرجريت ـ لم توجهين الى هذه العبارات القاسية ؟

جانين ـ انى أحمل فى قلبى ستين من أجل سنى شبابه بما فيهما من قوة حارة . . . ونشوة فياضة . . .

مرجريت ـ أوه ! اصمتى !

جانين ـ (متهالكة على المقعد) أضحى الحزن يعمينى حتى ليدفع بى الى الشر والاذى

مرجريت — مدموازيل . . .

جانين ـ دعينى وشأنى .

مرجريت ـ جانين ، هل لك أن تجيبينى على سؤال أخير يجمع تذكاراتك الحية ، يجمع قلبك المعذب فى صراحة تامة ؟

جانين ـ وهل أملك من الجهد ما اجيبك به على سؤالك ؟

مرجريت ـ قد يبدل ردك حظوظنا نحن الثلاثة . أتفهمين ؟ اذن أجيبى . هل وعدك جاستون يوما ما . . بالزواج ؟

جانين ـ وعدنى بالزواج ؟ . . كلا لم يعدنى بشىء !

مرجريت ـ (تتنفس) و . . سامحينى ان كنت ألح ، لكنى فى اشد الحاجة الى استيضاح الحقيقة كاملة . . ألم يحاول جاستون ان يعلمك يوم مقبل تصبحين فيه زوجته دون ان يقطع على نفسه عهداً صريحا بالزواج ؟ أقسم لك بأعز من أحب لو أنه بذر فى قلبك مثل هذه الفكرة لأكون على استعداد للابتعاد عنه الى الابد دون امل فى الرجوع . . (ترفع جانين رأسها فى بطء وتطيل النظر لحظة الى مرجريت ثم تطرق من جديد) لم لا تجيبين ؟

جانين ـ وما الفائدة ؟ . . الا تحسين انى ما عدت آمل شيئا ؟

كلا لم أحب جاستون الا حباخالصا لايداخله وعد ولاأمل .. أنى لم أكن أجسر على المجيء الى هنا الا عندما كنت المح من الشارع قرب النافذة هذه الباقة من الورود الحمراء .. فهل كان فى مكنتى ان احلم بمشاركته يوما فى حياته النبيلة ، أن أحيا بقرب هذه المجموعة من الاسلحة الاثرية .. امام هذه الصور العائلية التى يطالعنى منها الاشراف والقواد العظام ، أنا ابنة الشعب البائسة ؟ صدقينى يامدموازيل .. مثل هذا الحلم الباهر لم يقم بخاطرى .. على انى لا أملك نفسى عن الشعور بأن كل شيء قد انتهى .. (تبكى)

مرجريت — (فى تأثر بالغ) وهل انا التى أهجت فى قلبك هذا الألم الممزق ؟ .. آه عفواً ! ياصغيرتى جانين

جانين — ليس فى مقدورنا الآن أن نبدل شيئاً !

مرجريت — من يدرى ؟

جانين — لو أنك شئت اعادة جاستون الى لما استطعت .. لن يعود بعد اليوم ... انتهى ... على انى أفضل الآن وقد عرفتك ان تكونى انت التى تمضين به لامرأة أخرى ... لكن عفوا ! ... عيونى ما زالت تغص بالدموع ... مدموازيل ! اغفرى لى أقوالى الطائشة التى فهت بها منذ لحظة ... كنت مجنونة ... لم أك اتوقع رؤيتك هنا ... أسأت اليك ، فعفوا ! ... والآن ، وداعا !

مرجريت — ألا تفضلين رؤيته قبل الرحيل ؟

جانين — (بسرعة) كلا .

مرجريت — اذن ، قبيل ان نفترق ، ياجانين ، عدينى بأن ماورد فى خطابك قد تبخر ... أتستحين لى أن تكونى جد شجاعة ؟ (تسير جانين) مهما تصورتى بعيدة عنك فتقى أن لك فى صديقة حبيبة ...

جانين — الوداع يامدموازيل (تجيل بصرها فى انحاء الحجرة) أبحث عن تذكار ... هذه الورود ... (تنزع الزهور فى لهفة من الآنية) أنها ملكى هذه الورود ! كل ما أملك من متاع العالم ! (فى يأس دامع) على أن الزمن العاتى سينوبها عن قريب ! (تضم باقة الورد الى قلبها وتختفى) (تتابعها مرجريت فى نظرة أليمة ثم تسقط باكية على مقعد امام المكتب)

المشهد الثامن

مرجريت — جاستون

جاستون — (مقبلا) أأنت وحدك ؟

مرجريت — (ترفع رأسها دون ان تنظر اليه) فضلت الاتراك ، على لنها وعدتنى ألا تستسلم الى اليأس

جاستون — مرجريت !

مرجريت — ياللصغيرة المسكينة ! لن تبرح خاطرى صورتها وهى تمضى الى حال سبيلها ، وحيدة ، باكية

وقد ضمت الى صدرها تلك الباقة من الورود الحمراء .. التى تشبه قلبها الدامى

جاستون — مرجريت ! كأنى بك لم تعودى تحبيننى . أتجدينى مذنباً

مرجريت — لا ياجستون . انى لاأتهمك . لقد دفعت عنك جانين لم تكن تلك خطيئتك ، بل خطيئة المقادير ، خطيئة الحياة ، الحياة التى تجعلنا بالرغم منا قساة الى هذا الحد

ينزل الستار

الام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الالمانى

نقله الى العربية

أحمد حسن الزيات

وهو قصة واقعية من روائع الأدب الالمانى تصور طهارة الحب وكرم الايثار وشرف التضحية باسلوب رائع قوى وتحليل بارع دقيق

يطلب من المكاتب الشهيرة ومن لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الساحة رقم ٣٩ والثمن ١٥ قرش

وجه صالح للسينما

للكاتبة الالمانية فيكى بوم مؤلفة الفندق الكبير

(تتمة)

وفى صباح أحد الايام التقى بها رفاقس ثوربج وهى صاعدة الى غرفة الملابس فى الاستوديو لتأخذ الشال الذى تضعه على كتفيها اثناء التمثيل . وسألها قائلا : صباح الخير . يادريجالسكى . كيف حالك ؟

— بخير ياسيدى ونظر اليها ثوربج مليا ثم قال :

— بخير نعم . أراك تحسنت كثيرا . .

وكان فى صوته مايدل على عدم رضاه لانها بخير . . . وفكرت دريجالسكى فيما تحمله قلوب الناس من حقد وحسد !

« عند عودتها اشترت زهورا وآنية جديدة للزهور . واشترت طعاما تحمله الى ولدها فى المصحة اذ كانت تزوره كل احد . وكان سعيدا فى تلك المصحة مسرورا بتلك العصى الحمراء والزرقاء التى كانوا يقدمونها له هناك ليلهو بها .

كانت دريجالسكى تبتسم كلما فكرت فى ولدها . وهاهى تفكر فيه وتبتسم وتنظر الى خيالها فى المرآة — وكانت قد اشترت مرآة — وابتسمت ايضا وقد اطمأنت الى شكلها فى مرآتها الجديدة .

وكانت اعدت طعاما فاخرا لهر بوش ، واشترت دهانا لشعرها وزينت رأسها ، واشترت غطاء جديدا للمائدة التى كانت تتناول عليها وهر بوش القهوة ، وقد بدأ هربوش يفكر فيها وفى أنها تصلح قرينة له .

* * *

جاء شهر اكتوبر ، ولاول مرة احست دريجالسكى ان القوم فى الاستوديو غير راضين عنها . وكان ماطلبوه منها سهلا بسيطا . اذ كان عليها ان تعبر شارعا ثم تقف قليلا تحت المصباح وتسعل ثم تمضى فى طريقها فى بطء . . . ولكنها اخطأت فى كل حركة قامت بها ، وقد استقام ظهرها وزال الانحناء الذى كان يزيدها ضعفا ، وجفت عيناها ، وقد تعودتا النظر الى الضوء الساطع واعاد المخرج المنظر ثلاث مرات ، ولكنها لم تفلح فطردها وعادت الى بيتها

وفى المرة الثانية جاءت فى ثوبها الابيض ومعطفها الازرق الجديد ، فلفوها بشىء كثير من القش وقدموا لها ملابس بالية ولكنها لم تظهر فى صورتها الحقيقية الاولى ، وأمرت فى قسوة وحدة ان تحضر دائما مرتدية تلك الاسمال البالية التى جاءت بها الاستوديو لاول مرة ، ولكنها لم تدرك قط مايريده اولئك الناس وقد اصبحت الآن تخجل من لباسها القديم ، ولماذا يسمح لغيرها من النساء ان يظهرن فى أثواب جميلة ، ويأبون عليها الا ان تظل فى مظهرها التعس ؟

ومر شهر نوفمبر ولم تدع للعمل الا قليلا ؟ وكانت تصور فى يوم من أيام ديسمبر بين جمع من الناس فى رواية « الاشقياء » ولم تدرك أن هر فيلب المخرج كان يشير اليها حين كان يصيح بعماله لماذا تركتم هذه المرأة من غير تزيين وجهها ؟ ماهذا الاهمال ؟ ومد أحدهم يده وجرها من ذراعها الى غرف التزيين وقام العامل بطلاء وجهها وتصوير التجاعيد عليه ، تجاعيد الفقر والجوع التى فقدتها من شهور مضت

جاء فيليب الى غرفة ثوربج فوجد امرأة تبكى بكاء مرا وسأل ما الخبر ، فاجابه ثوربج

— هذه دريجالسكى جاءت تشكو لاننا لم نستدعها من عهد بعيد ، فاجابت وهى تنتحب

— كنت اقول . انه ليس من العدل الا ادعى الى العمل وقد اصبح فى وسعى الآن ان احضر فى ثياب لائقة ، وبخيل الى انكم ترونها جريمة من عاملة مثلى ان تأكل وتتغذى ، أنى استطيع بتلك الدهانات التى يصبغ بها الوجه ان اسدى لكم ماتريدون . ولا أحكم تريدون منى ان اظل جائعة فى اسمالى البالية ، فكل مافى الافلام غير حقيق ، وقد رفضتم عودتى الى العمل لا لسبب الا لأن غذائى قد تحسن . فاجابها فيليب فى حدة وغضب :

— لا ، ياسيدتى فانت مخطئة ، اننا نريد فى الافلام شيئا أكثر من التمثيل نريد حياة ، الحياة الحقيقية . واذا كنت تريدين لنفسك عيشة راضية فلا شان لنا بك .

قال ذلك وسكت وترك الغرفة ، ثم قال ثوربج وهو يفكر :

— نعم ، انه على حق يادريجالسكى ، ان الفن شاق وقاس ، عودى الى حياتك الاولى ، انهكى قواك فى العمل ، لاتفرى من الشقاء ، اقضى الليالى ساهرة ، واعيدى اليك ولدك ، وعندئذ تدعوك ثانية ، هل فهمت الآن ؟

لا ، لم تفهم دريجالسكى قط ، وخرجت من الغرفة وكأنما انحنى ظهرها قليلا مرة أخرى ، خرجت وقد استحال عليها أن تفهم شيئا

وكانت تسائل نفسها ؛ علام كل هذا ؟ أيدفعون نقودا لكى اظل جائعة ؟ فاذا كسبت من النقود مايكفى لاحسن طعامى طلبوا الى ان اعود الى الجوع ، واذا وجدت من الغذاء مايكفينى طردونى من العمل ! سأحدث بوش عن هذا كله . ربما كان خيرا لى ان أعود الى عملى ، غسيل الملابس ، يخيل لى انهم هنا فى الاستوديو كلهم مجانين

محمود عزى

الكتب

ابن خلدون وتراثه الفكرى

تأليف الاستاذ محمد عبد الله عنان

أصدر الاستاذ المؤرخ الكبير محمد عبد الله عنان كتابه القيم (ابن خلدون، حياته وتراثه الفكرى) فادى به واجبا طالت بنا الأيام ونحن عاجزون عن أدائه . ولئن كان أهل الأدب ورجال العلم والتاريخ قد قابلوا هذا الكتاب بما يليق به من الترحيب والتقدير لما رأوا فيه من ترجمة وافية لحياة العالم المؤرخ الفيلسوف عبد الرحمن بن خلدون الذى شهد له كبار رجال الغرب بالعبقرية وقدروه حق قدره، واعترفوا بأنه واضع أصول علم الاجتماع وفلسفة التاريخ، فأنى قد قابلت هذا الكتاب النفيس لا بما قابله به الناس فحسب ، وانما قابلته كذلك بفرح وغبطة ، ذلك بأنه قد حقق أمنية لى طالما تمنيتها وناديت بها على صفحات الصحف وهى أن نعمل على احياء ذكرى مؤرخنا الفيلسوف العظيم حتى يعلم المسلمون خاصة والشرقيون عامة مقدار علو مقامه، وليقفوا على مدى سمو عبقريته فيجعلوه مفخرة لهم وينتفعوا بعد ذلك بتراثه الفكرى العظيم

واذا كان الاستاذ الكبير محمد عبد الله عنان قد أرضى العلم والتاريخ بترجمة حياة عالمنا ومؤرخنا الفيلسوف بعد ان كان لا يعرف من حياته الا ذرو يسير لا يحيط به الا القليلون ، وأطلع جيلنا على عظمة هذا الرجل ومبلغ أثره الفكرى ، وكشف عن فضله على العلم والتاريخ والادب، فأنه قد بقى أمر خطير لم يسع حضرة المؤلف نفسه الا أن يتحدث عنه ويشيد به ، ذلك هو مقدمة تاريخ ابن خلدون ، تلك المقدمة التى حملت تاج عبقريته وكانت سبب عظمته التى بهرت علماء الغرب جميعا وجعلتهم يشهدون له بالنبوغ والالمعية ، فأن طلاب الأدب والعلم الذين ناشدهم الاستاذ عنان أن يكفوا على دراستها والانتفاع بها لا يجدون بين أيديهم نسخة صحيحة منها يرجعون اليها ، ذلك بأن كل ماطبع منها قد مسه التحريف ، وناله التصحيف ، وقد ذكر لنا الاستاذ احمد زكى باشا انه لما استيقن من وجود المسخ والتحريف والتصحيف فيما طبع من هذه المقدمة ظل يسعى حتى أسعده التوفيق بالعثور على نسخة خطية من هذه المقدمة مصححة بقلم ابن خلدون نفسه وعلى أنه قد انفق فى سبيل نقل هذا الأثر النفيس نحو ثمانين جنيها فأنه يأسف جد الاسف ان لم يجد أحدا من رجال العلم أو من أصحاب المطابع قد سعى فى طبعها ونشرها ، ولا يزال هذا الكنز مدفونا بالخزانة الزكية

فأذا كان الاستاذ الكبير محمد عبد الله عنان قد قام بهذا الفرض الكفائى فأرخ حياة ابن خلدون فأنه لا يزال عليه فرض آخر لا يتم الفرض الأول الا به، ذلك أن يعمل على طبع نسخة صحيحة من مقدمة ابن خلدون فيحظى بالحسنيين ويتم بذلك عمله الخالد وحبذا ، لو تولت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع هذه المقدمة ووقف على تصحيحها مع الاستاذ عنان الاستاذان الجليلان أحمد أمين وأحمد حسن الزيات فيؤدوا بذلك أجل عمل للأدب والعلم والتاريخ

انى أناشد حضرات الاساتذة الاجلاء عنان وأمين والزيات بحق العلم الذى يعملون له مخلصين أن يجعلوا من عملهم للعلم طبع مقدمة ابن خلدون ولتجعلها لجنة التأليف والترجمة والنشر من حسناتها فى (نشر) الكتب القيمة والاسفار النافعة ؟

المنصورة — محمد أبو ريه

العـــدد الاول

من الرسالة

انجزنا طبع العدد الأول للمرة الثالثة ؛ فمن كان فى حاجة اليه فليطلبه رأسا من الادارة بالثمن المعتاد

مجموعة السنة الأولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الاولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشاً غير أجرة البريد